Cat. Jan. 12, '54

892.7
T24 kA
C.1
لجنة البعثات

قنابل

مسلاة مصرية فى ثلاثة فصول

تأليف

محمود تيمور

للأستاذ الفاضل
السيد السيد أديب
مع احترام المحبة وواثق الولاء
المخلص
محمود تيمور
١٩٤٤

طلب من

مكتبة مصر ومطبعتها

٦٣ شارع الفجالة

طبع بمكتبة مصر

Cat. Jan. 12, '54

لجنة النشر للجامعيين

أصدرت

أحمـــــس عبدالحميد جوده السحار مايو ١٩٤٣

رادوبيـــس نجيب محفـــــوظ يوليو ١٩٤٣

ابوذر الغفـاري عبدالحميد جوده السحار سبتمبر ١٩٤٣

قنـــــابل محمود بك تيمـــور نوفمبر ١٩٤٣

تحت الطبع

اخناتون ونفرتيتى على احمد باكثـــير ديسمبر ١٩٤٣

ثلاثة رجال وامرأة ابراهيم المـــازنى يناير ١٩٤٤

قنـــــــابل ! !

بيان تحليلى للرواية

بقلم الأستاذ الكبير زكى طليمات

المدير الفنى للفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى

قنابل ! ! اسم واضح الدلالة لا ينغلق معناه على أحد فى هذه الأيام . . . هو من المسرحية التى بين أيدينا عنوان ، ورمز ، وشارة ، عنوان لموضوعها الظاهر بحوادثه ، ورمز إلى شىء آخر متوار بين تلافيفها ، ثم هو شارة صريحة إلى الباعث الذى حدا بمؤلفها (محمود تيمور) إلى صياغتها .

والباعث صريح يعلن عن نفسه بنفسه ، فهو الحرب القائمة ، إن المسرحية من وحيها ، وصدى من أصدائها فى المدى الذى تردده جنبات وادى النيل فى هذه الآونة . أمّا الموضوع فظاهره مشاهد مقتطفة من ناحيـــة من نواحى الحياة المصرية القائمة بلهوها وجدها ، بتفاهتها وسخريتها ، مشاهد القارىء البعيد النظر يأخذ منها ما وراءها ، إذ أن المؤلف لم يعن بواقعيـــة مظاهرها إلا بالقـــدر الذى يهيىء له البيئة المحلية الصـــالحة

لتصريف ذهنه فى معالجة ماهو غير سطحى ومحلى، وبحث ماهو أصيل فى الغريزة، خالد على الدهر مع اختلاف المكان. وبهذا سمت المسرحية فى مرماها على أن تكون مجلا لمعالم جيل أو سمات بيئة، أو أن تكون مجالا لنقاش فى نظريات أخلاقية ومشاكل اجتماعية، وتعالت على أن تكون مستراداً لمشاهد مسلية فحسب، مشاهد تحوطها المشوقات والمفاجآت، وتنبض فيها الفكاهة والنغاشة، وتتابع صورها فى سياقة مشوقة سريعة ابتغاء الاستثارة الطارئة، والانفعال العابر، فعل (تيمور) هذا دون أن يهدر جانب السياقة الطريفة والحبكة المسرحية ولطف الحوار. وهى من مقومات المسرحية، ومن مذكيات سحرها لاجتذاب الجمهور إليها، لقد أخذ تيمور من كل هذه القسط اللازم ليستقيم موضوعه، كما أخذ من مظاهر الحياة وواقعيتها القدر الذى يضفى على شخوص مسرحيته فيض الحياة نفسها.

فعل تيمور هـــذا وخرج على الطوق الذى يعمل تحته الكثيرون من كتاب المسرحية الذين يقصرون همهم على تسجيل المتحول من أوضاع المجتمع والمزاج والأسلوب، وحسناً فعل إذ لو أبق هذا الطوق فى عنقه لما استطاع النفاذ

إلى الحقائق الإنسانية الخالدة والغوص فى أعماق النفس ، منقباً فى خباياها ، كاشفاً عن مضمراتها ، مقيداً أوابدها .

والنور الذى يلقيه تيمور على شخوص مسرحيته محللا نفسياتهم مفصحاً عن بواطن نزعاتهم ، لا قبل للأدب العربى به فى جملة نتاجه الأدبى القديم أو المستحدث إلا فى القليل النادر ، إذ أن مأتى هذا النور من الغرب فى آخر ما انتهى اليه بحث فلاسفته وعلمائه النفسيين من أن للكائن الإنسانى وعياً ظاهراً ووعياً باطناً ، وأن هذا الكائن مسوق فى تصرفاته بإيحاءات وعيه الباطن حيث تكمن الغرائز وتستتر متحفزة وراء ستر من المتواضع عليه فى الأخلاقيات والمبادىء التهذيبية التى هى من صنع العقل ، وأننا نخضع لهذه الإيحاءات والتيارات الباطنية من غير أن نشعر وبدون أن نحس سلطانها علينا . بل إننا لننتحل لتصرفاتنا وبادراتنا أعذاراً ظاهرية يصوغها المنطق الذى هو وليد العقل .

والمجرى على هذا النهج فى تحليل شخوص المسرحية يتطلب الحذق الذى مأتاه الطبع لا التطبع ، بحيث تجرى سياقة المسرحية ويتحرك شخوصها دون أن يحس المستمع اليهم شيئاً من حيف

الصنعة أو اجتلاب فى ربط الأسباب بالمسببات فيما يجرونه قولا وفعلا ، وأن لا يبدو منهم ماينم على أنهم يدركون البواعث الباطنية لأعمالهم . وفى هـذا جرى (تيمور) شوطاً أترك الحكم فيه للقارىء بعد أن أكشف عن مفاتن هذه المسرحية .

* * *

قنابل !!!

ما الذى أراد (تيمور) أن يرمز إليه فى مسرحيته هذه ؟

وما المحور الذى يدور حوله أبطالها ؟؟

إن الموضوع فى ظاهره بيِّن واضح . أسرة مترفة ناعمة تهجر القاهرة الى الريف بدعوى القيام بنصيبها القومى فى إصلاحه ، وليكون رب الأسرة الى جانب أراضيه يتولى إدارتها بنفسه ويحسن استغلالها . وهذه دعوى ظاهرة لا يلبث أن تشف عما تحتها عن الباعث الحقيقى لهـذه الهجرة ، وهو النجاة من غارات جوية يزعمون أنها ستهدد العاصمة . ثم لا نلبث أن نرى هذه الأسرة تعود الى القاهرة بعد أن عاشت حياة عجيبة فى الريف ، تعود بدعوى أن واجب الدفاع القومى يقضى بأن تكون الأسرة فى العاصمة لتشاطر أفراد الشعب أسباب

الدفاع السلبى ، وهى دعوى كسابقتها ، أو عذر منتحل للدافع الحقيقى الذى حفزهم على ترك الريف .

بهذه الدعاوى وأمثالها يتكلم أبطال المسرحية ، ولكن المستبطن كلامهم لا يلبث أن يضم أنامله على الباعث الباطن والحافز المقنع الذى يدفعهم ولا يشعرون .

هذا الباعث هو الخوف من الموت ، الموت الذى رمز له المؤلف بقنابل ! !

إنهم يخافون الموت ويهربون منه ، يتفقون فى هذا وقد يختلفون فى مقدار خوفهم منه وحرصهم على الهرب منه .

إنهم لكذلك ، وإنهم جميعاً لإخوة فى الدين الإسلامى الحنيف ، وانهم موقنون اليقين كله بأن الموت نهاية كل حى وأن لا مرد لقضائه ، وفى هذا تجرى ألسنتهم بآى الذكر الحكيم وبكل قولة مأثورة .

وفوق هذا فإن العقيدة الإسلامية تنفرد بنزعتها الروحية السامية فى إقرار سلطان الموت وتهوين أمره ، وفى قبول ماهو كائن من غير تبرم بقضاء الله .

إذن لم كل هذا الاضطراب ؟ ، وكيف يتأتى أن ينزل الإنسان

منازل الحيرة من أمر يقره عقله وترضاه عقيدته . العقل الذى هو من الإنسان منظم ومدبر ! .

وما هذا النضال المستعر فى نفوس أبطال المسرحية ؟ ؟ .

إن هذا النضال هو المحور الذى تدور عليه المسرحية فى مرماها البعيد ، وهو نضال أقامه المؤلف بين العقل والغريزة . العقل الذى يؤمن بأن الموت نهاية محتومة فلا خوف منه ولا مفر ، والغريزة التى تتجاهل هذا وتفزع منه وتحاول الفرار من مقدمه لأن لها عرقا نابضا مشدودا إلى الحياة التى هى نقيض الموت ، عرقا ينبض بحب البقاء .

شرع المؤلف هذا النضال فى أوجه على شخصيات أربع تتباين فى مستوى التعليم ، وفى ثقافتها الدينية ، وفى مزاجها العام ، وفى موقفها من مباهج الدنيا ومتاعبها ، يبرز فى الصف الأول من هذه الشخصيات شيخان من أصحاب الفضيلة ، ثم رجلان من غير أصحاب (شىء ما) يخلع عليهما إشارة التدين الذى يعلن عن نفسه باللباس .

شيخنا الأول « أبو اليسر » متعالم متقاعد ، ولكنه يعيش بنصفه فى العالم القديم وبنصفه الآخر فى العالم الحديث ، يحاول

أن يستخرج من حياته كل متعة فى دائرة الاعتدال والفضيلة ؛ لم تصرف الحرب وضائقتها عن متابعة عادته فى التأنق والتعطر وتربية الديوك الرومى ، وقنع من مواجهة الغارات وأحداثها بانشاء مخبأ متين لأسرته وآخر لديكته . المال والبنون بين يديه... فلماذا لايكون دائم التفاؤل ، دائم التشبث بالحياة ؟؟

ويقابله فى تفاؤله صديقه «الشيخ ضرغام» والد وتره الموت إذ اختطف له ولدا فى شرخ الشباب فخلف وقدة الشكل فى قلبه وشرود التشائم فى عينيه. ثم جاءت الحرب بغاراتها فانحنى بكليته على ولده الباقى يحرص عليه حرصاً أكسبه روعة الخاطر وجعلته يخشى مالا يستطيع أن يسميه باسمه، وتفرد بين إخوانه بالشكاية والفزع من الحرب بيدأنه لا ينى عن متابعة أخبارها بمختلف الوسائل ، وكأن هذه المتابعة تقلل من روعه . . . أنه يخاف الثكل مرة ثانية وكفى . . .

وقد يندلسانه بعبارة تبرم بقضاء الله ، ولكنه سرعان مايعقب عليها بأخرى تفصح عن كامل استسلامه له وقبوله .

أما الشخصان الآخران (أصحاب لاشىء) فأولهما « حواش أفندى » عجوز يتولى الإشراف على عزبة الشيخ أبى اليسر ،

احتسب الله فى أولاده الأربعة ، فكان له على الموت حفيظة ، ثم حل الاستسلام لقضائه فكان الألم السوّار، ورضى بعيش انتهار منه أكبر جانب من ماضيه — الماضى الذى هو الشرفة التى نطل منها على المستقبل — وغدا هذا الرجل مقطوع الرجاء من الدنيا لاعزاء له إلا فى العمل يفنى فيه كل نشاطه .

والآخر هو « عويس » حائك ملابس الشيخ المترف المتأنق يصح أن نرى فيه نموذجاً لطبقة أصحاب الحرف فى مصر أو بالأحرى رجل الشارع . التفاؤل ملء عينيه والاستسلام لقضاء الله باد فى كل أقواله وفعاله ، يواجه الحرب وأخطارها بعقيدة تتلخص فى قوله « ربنا برضه ساترها .. المخبأ موجود» .. ومصر محمية بأولياء الله بتوعها .!!

هؤلاء الأربعة ، وإن اختلفوا فى كل شىء ، إلا أنهم متفقون فى أنهم جميعاً فى منحدر العمر ، وفى السن التى تجعل الإنسان يزداد تشبثاً بالحياة لشعوره بأنها بدأت تنساب من بين أصابعه . أمّا بقية أشخاص المسرحية ففى المقام الثانى من هذا النضال ، لأن جلهم على شباب ولهو ، يحجزان خشية الموت المرهقة عن أن تستولى على مشاعرهم .

على هؤلاء الأشخاص الأربعة سلط المؤلف خوف الموت

وأطلق عليهم رعبه مرتين ، لكل مرة مناسباتها ومكانها، مرة فى القاهرة ، وخوف الموت مأتاه الغارات الجوية ، والأخرى فى الريف فى عزبة الشيخ أبى اليسر ، وخوف الموت مصدره الأمن المضطرب والحميات المتفشية .

سلط المؤلف عليهم هـــذا التيار المخوف ، فإذا بهم نهبة لنضال بين العقـل وغريزة حب البقاء ، نضال تنطق آثاره فى قول كل منهم وفعله بحال تختلف عن الآخر ، وتطابق ما بنفس كل منهم من أعراق تشده إلى الدنيا وذويه ، وتتفق ونصيبه من سلطان العقل وسيطرة الغرائز .

العقل . . . الغريزة .

هل يعيش المرء بأحدهما أو بكليهما ، وبأى قدر منها ؟؟

إن الرد على هذا بما يوجبه البحث العلمى يضيق به المقام ، لاسيما إذا أوردنا ماخلفته الفلسفة القديمة والحديثة من آراء فى هذا الصدد . بل إننا فى نجوة من هذا الرد لأن تيموراً لوح تلويحاً ظاهراً بأن الكائن الإنسانى يحيا بغرائزه أكثر مما يعيش بعقله ، لاسيما فى المسائل السامية التى تتعلق بكيانه وبقائه ، وإلا لما كان هذا الخوف من الموت ، وهو أمر يقره العقل ويقبله .

إن تيموراً يسخر من العقل ويرثى له فى آن واحد ، إذ -

يسجل عليه قصوراً فى النفاذ إلى بواطن الأشياء ، وعجزاً عن حل معضلات النفس وعقدها ، فهو فى هذا إنما يصدر عن فلسفة نقد العقل .

وفى وسط هـذا النضال وقفت العقيدة الدينية ، يتعلق المتناضلين بأهدابها بعد أن هوت الأرض تحت أرجلهم ، فتراهم يتطوحون بين طرفيها فى موقفهـا من الموت ، أى بين الآيتين الكريمتين : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » و « أينما تكونوا يدرككم الموت » .

موقف عجيب ولا شك ، ولكنه إنسانى خالص ، وقفته البشرية منذ القدم وفى كل مكان ، مهما اختلفت العقائد الدينية .

بيد أننا نقف برهة أمام شخصية « عويس » حائك الملابس فنرى أن المؤلف يقدم وجهة نظره فى الحياة والموت أحسن تقديم من أن يعقب عليهـا بشىء ، وشأنه فى ذلك شأنه مع بقية شخوص المسرحية . والمتأمل وجهة النظر هذه يرى أن صاحبهـا أكثر اتصالا بالدين من حيث موقفه من الموت الذى هو من قضاء الله .

هل لنا أن نتساءل عما إذا كان مأتى هذه النظرة أن «عويس»

هذا يعيش على هامش الحياة بليد الحس ، وفى نجوة من تيارات الأحاسيس الدافقة العنيفة التى تبعث على المصاولة فى نضال بين العقل والغريزة ، أم أن هذا الرجل ،على بساطته ، قد أدرك بصفاء بصيرته ما لم يدركه الآخرون ؟؟

أن تيموراً لم يعط الجواب ، كما حرص على أن لا يدلى برأى واضح المعالم والحدود من شأنه أن يجزم بشىء . بل أطلق شخصياته تعيش فى هذا النضال تضطرب وتتناقض ، وتحيا تارة فى ضوء العقل الذى هو من الوعى الظاهر ،وتارة أخرى فى ظل الغريزة التى هى من الوعى الباطن .

وقد حذق تيمور التخلص من إتيان كل ما من شأنه أن يوحى بالتشكك فى العقيدة أو يدفع الذهن الى خرق النطاق الذى يجب أن لا يتجاوزه فى بحث أسرار هذا القضاء المهيمن علينا، المسيطر فى أقدارنا ، وكأنى به تذكر موقف الفاروق عمر ابن الخطاب من جماعة معه كان عليهم أن يعبروا أرضاً فشا الطاعون فيها فترددوا وانقسموا وأخذوا يتذاكرون . . يؤيد كل فريق منهم وجهة نظره فى دخول هذه الأرض الموبوءة أو الانصراف عنها ، فحسم « عمر » النزاع وفض اللجاج بقولته المأثورة : « نفر من قضاء الله الى قضاء الله »

ومما يبعث على التأمل والإعجاب أن يعالج تيمور موضوعاً كهذا له خطره وعمقه بنفس فكاهى لطيف ، ولمسات رقيقة ، وجسات نفسية رفيقة دون أن يغمض أو يبهم أو يثقل أو يكره متورطاً فى التعلق بأذيال النظريات الفلسفية الجافة فينفى عن سياقة المسرحية طابع التشويق وحسن القبول .

لقد أدار قلمه بحذق الفنان الأصيل فأورد على حواشى جوهر موضوعه مشاهد لطيفة لها بهاؤها ولها مرماها ، أدارها حوله من غير أن يخفض من شأنه ، مشاهد كان لها التوفيق كله فى نظرية ما هو جامد عسير ، وتمليح ما هو مائع مرير ، وأى موضوع أمر وأعسر من موضوع الموت فى أحد وجوهه ، وقد أوفد نذره صاخبات متوعدات بين أزيز الطائرات وفحيح الحميات ! ! !

الموت . . . وهل يصح أن يكون موضوعاً لمسرحية ؟ ؟

قد يكون عجيباً عند النظرة العجلى ، وأعجب منه اذا لم يكن وسيلة الى ما وراء اسمه ، الى كشف جديد فى مغلقات النفس ومتاهاتها . بل أى موضوع أعجب من الموت لتعالجه المسرحية وهو الحقيقة الثابتة التى لا تنكر ، وهو أحد طرفى الحياة التى

نحياها فى هذا الكون ، وهو الألم الممتع الذى يساور الإنسانية منذ الأزل الأول !!

إذن لا عجب أن يتخذه تيمور عاملا أساسياً فى مسرحيتين من مسرحياته (١) ، فإن الموت هو الراقص الأول فى حلبة الحياة الحاضرة حيث تضطرم نيران الحرب ، وهو العنوان الأول لقائمة هذا الزمن »

زكى طليمات

مصر فى ٢٢ أغسطس ١٩٤٣

(١) المسرحية الثانية هى (المخبأ رقم ١٣) وقد ظهرت منذ عام تقريباً .

أشخاص الرواية

الشيخ أبو اليسر : والد « ناصح » و « لوليه »

ناصـــح :

لوليـــه :

الشيخ ضرغام : والد « محروس »

محروس : خطيب لوليه

حوّاش افندى : ناظر زراعة « الشيخ أبى اليسر »

متولى : رئيس الزرّاع فى ضيعة « الشيخ أبى اليسر »

كتكوت : قزم يرعى الدواجن بمنزل « الشيخ أبى اليسر »

أم عبد العليم : خادم بمنزل « الشيخ أبى اليسر » متقدمة فى السن .

مقطفة : زوج « ابراهيم الغتيت » شيخ الخفراء فى ضيعة « الشيخ أبى اليسر » فى نضرة الشباب

المعلم عويس : خياط بلدى

الفصل الأول

(الوقت : تباشيرُ الصباح)
(ردهة فى منزل « الشيخ أبى اليسر » العالم)
(المتقاعد كل ما فى المكان يدلُّ على ميولِ)
(ونوازعَ مضطربة تنحو تارة نحو التجديد)
(والأناقة وطوراً نحوَ التحفظ وسُقم الذوق)
(ولكن مظهرَ الرخاء واليسار يشملُ كلَّ شىء)

(يدخل الشيخ « أبو اليسر » مرتدياً قَبَاءَهُ بلا جُبَّة ولا حزام مُشمِّراً عن ساعدَيه . يقصد إلى النافذة المطِلة على الفِناء)

الشيخ أبو اليسر : (منادياً) يا كتكوت . . يا ولد يا كتكوت الكلب ! . .

كتكوت : (من الخارج) : حاضر .

الشيخ أبو اليسر : حَضَرتكَ المصائب . . أين أنت ؟

كتكوت : (من الخارج) أنا ههنا ياجنابَ الأستاذ .

الشيخ أبو اليسر : جناب الأستاذ . . حتى الساعة لم تَصْحُ من نومك والدِّيكَة تملأ الدنيا صياحاً . . .

كتكوت : أقسمُ بالله يا جناب الأستاذ إنى مستيقظ قبل أن يَطْلُعَ الفجر . . .

الشيخ أبو اليسر : لا تُطل فى الكلام . . . تعال يا ولد . . .
(يرى القلة على حافة النافذة فيتناولُ منها جُرْعَةً ثم يغمغم) :
لم يأت الثَّلجُ حتى الآن . لُعنتَ أيُّها الولد لا يحسن إلا أن يقول « جناب الأستاذ » . .
(يدخل « كتكوت » على خوف وحذر فما إن يراه « الشيخ أبو اليسر » حتى يُهرَعُ اليه ويقف أمامه متحفزاً يقول له) :
وفوق ما عملته تجرؤ أن تلقانى عارى الرأس أين قلنسُوَتكَ ؟
(كتكوت يفتش عن قلنسوته فى جيبه فيخرجها مسرعاً ويضعها على رأسه كيفما اتفق) .

الشيخ أبو اليسر : (صائحاً) عَدِّل قلنسوتك . .
(كتكوت يصلح وضع القلنسوة على رأسه)
(الشيخ أبو اليسر يحدجه صامتاً بنظرة ازدراء ثم يغمغم) :

ما أسمج دَمك . الآنَ أريدُ أن أعلمَ أين كنت

كتكوت : (فى صوت المتباكى) كنتُ فى كِنّ الدواجن أغيِّر الماءَ للدِّيكة الرومية يا جناب الأستاذ

الشيخ أبو اليسر : جناب الأستاذ فى عينك ! هل قيلَ لك إنى أفرنجى من أوربه ؟ ألم أطلب إليكَ غيرَ مرة أن تنادينى يا فضيلةَ الأستاذ ؟

كتكوت : نعم ، حصلَ هذا والله العظيم يا جنابَ . . . فضيلة الأستاذ !

الشيخ أبو اليسر : (يرمُقه مغتاظاً) : والله لأبعثنَّ بكَ إلى الضيعة ولأُلحقنّك بخدمة الجاموس هناك لتعرفَ قيمةَ نفسك !

كتكوت : (فى تذلل) : أنا فى خيرك هنا أو هناك . .

الشيخ أبو اليسر : (بعد صمت قليل) ماذا فعلتَ بطعام الديوك؟

كتكوت : أعددتُه منذ فترة طويلة . .

الشيخ أبو اليسر : أحسبُكَ تشاركُ الديوك طعامَها. ولم لا ؟ طعامٌ لم يكن يحلمُ به أبوك !

كتكوت : (متملقاً) : سيدى ناصح بك ابن سعادتك

زادَه الله عقلا وكمالا ابْتكر للديوك غِذاء ليس بعده غذاء !

الشيخ أبو اليسر : إن الجمعيةَ الزراعية تطْعم منه ديوكَها ... سينالُ به الجائزة الأولى فى المعرض القادم. وهل تحْسِنُ صُنع هذا الطعام ؟

كتكوت : كما عـلّمنى سيدى ناصح بك بالتمام والكمال ..

الشيخ أبو اليسر : إذن لماذا لا أجد الديوكَ تَسْمن ؟

كتكوت : كيف لم تسمن يا سعادة الأستاذ ؟ وقاها الله العين ! . كلُّ دِيك يَزِنُ عشرينَ رِطلا على الأقل أو قلْ ثلاثين ! . . .

الشيخ أبو اليسر : ألاحظُ أن الديك « أبا حريرةَ » ينْحَف يوماً بعدَ يوم .

كتكوت : أصابه قليلٌ من البرد ..

الشيخ أبو اليسر : و « سَبُعُ الليل » ؟

كتكوت : هو الآنَ فَحْلٌ . عيني عليه باردة !

الشيخ أبو اليسر : هل اكتَنَز لحمُه وشحمُه ؟

كتكوت : كثر دُهنه يا سعادة الأستاذ . . .

(الشيخ أبو اليسر يتلمظ ويزدرد ريقه)

الشيخ أبو اليسر : اهتمَّ به ،سمّنْه . . أفهمت ؟ سمّنه جيداً . . نريدُ أن نذبحَهُ لحفلةِ عيـــدِ ميلادِ ابنتى «لوليَّه» يوم الخميس المقبل . . .

كتكوت : ستجدهُ إن شاء اللهُ كالحمَل . .

الشيخ أبو اليسر : نعم لابد أن يكون صَدرُه عظيما . .

(ينظرُ إلى النافذة)

أغلق الشُّباك لينقطع هذا التيار . الجو بارد هذه الايام . . .

(كتكوت يُغلق النافذة .

كتكوت : ألا نحضرُ الثلجَ اليومَ يا سعادة الاستاذ ؟

الشيخ أبو اليسر : لا ينقطعُ الثلجُ عن البيت فى صيف أو شتاء.

(بعد لحظة)

لا تنسَ أن توصِىَ بمجموعةمن القازوزة . .

كتكوت : سَمْعٌ وطاعة . . (ينصرف «كتكوت»)

(يدخل «الشيخ ضِرغام» عابس الوجه يتأبط رِزمةً من الصحف) .

الشيخ أبو اليسر : أهلا بالشيخ ضِرغام . . . صباحَ النور أيها الأخ . . .

الشيخ ضرغام : صباح الخير يا شيخ أبا اليسر . . .

الشيخ أبو اليسر : (يحدق فيه) ما زلتَ على هَمِّكَ مقطِّب الجبين !

الشيخ ضرغام : (ووجهُهُ يَزداد عُبوساً) : لستُ مهموما ولا مقطِّبَ الجبين . .

الشيخ أبو اليسر : سأوصي لكَ بقدَح من قهوَتِنا الممتازَةِ حتى تبسُطَ نفسك شيئاً . . .

الشيخ ضرغام : الساعةَ شربتُ قدحاً فى قهوة جعفر . .

الشيخ أبو اليسر : وهل عندَ جعفرٍ بُنٌ يُماثِلُ البنَ الذى عندنا؟ (يقصِدُ إلى النافذة يفتَحُها وينادى) : كتكوت . . . يا ولد يا كتكوت . . .

كتكوت : (من الخارج) حاضر . . .

الشيخ أبو اليسر : (لـ « كتكوت ») : هاتِ أبريقَ قهوةٍ وقدَحَين . . . أسْرِعْ !

كتكوت : (مِنَ الخارج) : حاضر . . .

الشيخ أبو اليسر : (لا يكاد يُغْلِقُ النافذة حتى يفتَحَها ثانياً ويصيحَ :) وكوبَين من الماء المثلَّج . . .

كتكوت : (مِنَ الخارج) حاضر ...

الشيخ ضرغام : ولِمَ الماءُ المثلجُ ؟ الجو لا يستدعى ذلك

الشيخ أبو اليسر : مهما يكنِ الامرُ فالماءُ إن لم يكنْ مثلّجاً لا يُستساغ!

(الشيخ أبو اليسر يُغلِقُ النافذة ويعود إلى مجلسِه بجوار الشيخ ضِرغام)

الشيخ أبو اليسر : (يلاطِفُ كتِفَ « الشيخ ضِرْغام » مداعباً) : هِيهِ ... ماذا وراءك من أخبار ؟

الشيخ ضرغام : (وهو على عُبُوسه) : لا أخبار هنالك !

الشيخ أبو اليسر : تكلَّمْ ... قلِ الحقَّ ... ماهى الأخبارُ ؟

الشيخ ضرغام : على أسْوَإِ حال !

الشيخ أبو اليسر : ولماذا تُسَوِّئُها هكذا ؟

الشيخ ضرغام : وماذا أصنعُ إذا كانت هى على حقيقتها سيئة ؟

الشيخ أبو اليسر : فألُ اللهِ لا فألَكَ ياشيخ ! ... أفى كل يوم تجلبُ لك ولغيرك النكد والعناء بهذه الأخبار ؟!.

الشيخ ضرغام : وهل قصدتُ أنا العناءَ والنكد لنفسى

أو لغيرى ... الصحف هى التى تنقل الأنباء ...

(مشيراً إلى الرزمة تحت إبطه) والمذياع بين ساعة وساعة يصيح بأشكال وألوان ...

(مشيراً إلى مذياع فى الردهة).

الشيخ أبو اليسر: (وهو يتمنطق بحزامه): أقسم لك بالله إنى منذ أسبوع لم أجلس إلى المذياع لحظة ولم أقرأ فى صحيفة حرفاً ... إنها لأشياء تصدع الرءوس ... دع الأمر لله!.

الشيخ ضرغام: وهل قلنا شيئاً؟ ... الأمر كله لله ... ولكن الحذر مطلوب، ألم يقل سبحانه وتعالى (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)؟

الشيخ أبو اليسر: هذا حق ... ومن أجل هذا بنينا المخبأ بالمسلح وأنفقنا فى بنائه أربعمائة جنيه ... إن أعظم قنبلة لترتد عنه خائبة ... ناصح ولدى يؤكد لى ذلك!.

الشيخ ضرغام: إنه هو الذى أشرف على الفعلة والبناءين وهم يعملون ...

الشيخ أبو اليسر : وهذا المخبأ ليس لى وحدى . . . إنه لكم أيضاً، حين تصرخ الصفارة الملعونة تسرع إليه أنت ومحروس ابنك وخدمك فنحتمى به جميعاً.. البيت بيتك والمخبأ مخبؤك ياشيخ ضرغام!

الشيخ ضرغام : بقيت وحفظت . . . وهل نحن جيران وأصدقاء فحسب؟ . . . إننا أقارب!.

الشيخ أبو اليسر : (مبتسما) : والحمد لله على أن هذه القرابة جددت وقويت بخطبة « لولية » ابنتى إلى « محروس » ابنك . . .

الشيخ ضرغام : أتم الله زواجهما على خير ومتعهما بالسعادة!

الشيخ أبو اليسر : (وقد لفت بصره عنوان ضخم فى إحدى الصحف التى أتى بها « الشيخ ضرغام » يُنعم النظر فى العنوان) : ماهذا ماهذا؟ لقد اشتدت الغارات على « مالطة »!

الشيخ ضرغام : أما قلت لك إن الأحوال على أسوإ ما تكون!

الشيخ أبو اليسر : (وقد نحى الصحيفة عنه) : وأين نحن من مالطة؟!

الشيخ ضرغام : الغارتُ على أيةِ حالٍ سليمةُ العاقبة ، حتى الآن . ولكن انتظرْ غداً لترى كيف تكونُ الحال ؟ . . .

الشيخ أبو اليسر : (وقد ضاق صدْره) دع هذا التطيُّرّ وظنَّ باللهِ خيراً . . (يدخل كتكوت حاملا صينية القهوة) .

الشيخ أبو اليسر : (يثور فى وجه كتكوت) : ماذا جرى أيها الولد ؟ أكنت تريد أن تسقِينا القهوة وقت الظهر . ابتلاك الله بما يُوجعك .

كتكوت : والله ياسعادة الأستاذ . . .

(الشيخ أبو اليسر أثناء ذلك يصبُّ القهوة فى القدحين ويناول الشيخ ضرغام قدحه ويأخذ هو القدح الآخر . . .

(يحتسى جُرْعة)

الشيخ أبو اليسر : سكرها غير مضبوط . . . وليس فيها رائحة المُصطكا . . .

الشيخ ضرغام (وقد احتسى جُرْعة من قدحه) : الحق أنها

قهوة فاخرة ياشيخ أبا اليسر ... إنها زكيّة الرائحة ...

الشيخ أبو اليسر : (يأخذ بضع جُرعات من كوب الماء المثلج): هكذا ... ماء سائغ ...

(يخرج كتكوت ...)

(بعد فترة قصيرة يقضيها الشيخ أبو اليسر ساهماً يقول) : وهل يدل اشتداد الغارات فى مالطة على أنها تشتدُّ كذلك علينا ؟

الشيخ ضرغام : من يدرى ؟

(يدخل كتكوت ... الشيخ أبو اليسر يَرميه بنظرة مُنكرة)

كتكوت : (وهو بجوار الباب لا يجسر على الدُّنُوِّ من الشيخ أبى اليسر يتحدث مسرعا كأنه يلقى مقطوعةً من المحفوظات) :

حواش افندى ناظرُ الضيعة قَدِمَ وهو فى الخارج يستأذن فى الدخول ...

الشيخ أبو اليسر : قدم حواش افندى ؟ وماذا يبتغى منى ؟ حتى

قدح القهوة لا يُتاح لنا أن نشربه فى راحة وهدوء !

كتكوت : يقول إنه يطلب سعادتك لأمر مهم .

الشيخ أبو اليسر : ليس الوقتُ ملائماً . . .

كتكوت : إنه يقول . . .

الشيخ أبو اليسر : (مقاطعاً) . يقول أو لا يقول . . . هيِّىء له قدح قهوة . . . ودَعه ينتظر . . .

الشيخ ضرغام : ربما كان موضوعُه الذى جاء من أجله يستدعى العَجَلةَ فلتأذَنْ له فى مقابلتك . .

الشيخ أبو اليسر : وماذا يحدث إن انتظر ؟

(لكتكوت) :

ما الذى أحضَره معه هذه المرة ؟

كتكوت : لم يُحضر شيئا ! . . .

الشيخ أبو اليسر : لا سمن ولا عسل ولا جبن ؟

كتكوت : لاشىء معه . . .

الشيخ أبو اليسر : إذن ماذا تصنعُ خَمْس جواميس وكل منها حلوب ، وكذلك خلايا النحل التى تزيد على خمسمائة ؟

كتكوت : يقول إنه متعجّل ويريد لقاء سعادتك حتما حتما . . .

الشيخ أبو اليسر : حَتَمَ الله انقلاع عينك وعينه . . . اخرج ياولد ! . .

(كتكوت ينصرف)

لا سمن ولا عسل ولا جبن . . . حتى الحمام لم يأت به . . . لقد بنيت هناك برجين منذ شهرين كل برج كأنه مِئْذَنَة كلفنى أكثر من مائة جنيه . . . الدنيا كلّها سلب ونهب والذمم كلّها خراب ! . .

الشيخ ضرغام : لا أظن أن حواش افندى من هذا الصِّنف. إنه رجل نزيهُ اليد ، وانتفاعك به عظيم ، وهو يخدمك من قديم . . . إن مثلَ زراعتك وهى خمسمائة فدان تتولى زرعَ نصفها لحسابك ما كان لأحدٍ أن يقوم بها غيرَ حواش افندى !

الشيخ أبو اليسر : فى هذه الأيام ألاحظ عليه كثرة الكلام وقلةَ الجدوى . . .

الشيخ ضرغام : لقد طالما تحمل هذا الرجل من متاعب

الدنيا . . . ألم يمت أولاده الأربعة واحداً إثر واحد ؟ .

(يصمت برهة ، وقد علا وجهه حزن وكآبة . . . يغمغم) : اكتوى قلبه كما كتوى قلبي !

(يتنهد طويلا)

الشيخ أبو اليسر : ألم يحن لك أن تنسى هذه السيرة يا شيخ ضرغام ؟ . . أمر الله واقع ، فما حيلتك فيه .

الشيخ ضرغام : (فى استسلام حزين) : حقاً هو أمر الله . . . وكلنا لأمره خاضعون . . ولكن جراحات الفؤاد لا تلتئم ! أنور ومختار قضيا فى زهرة العمر ، لو مد الله فى عمرهما . . .

الشيخ أبو اليسر : (مقاطعاً) : البركة فى محروس حفظه الله من كل سوء !

الشيخ ضرغام : الحمد لله مستحق الحمد على أية حال . . .

الشيخ أبو اليسر : كل ما يقدره الله علينا نقبله راضين . . .

(فترة صمت . . . يقول مهموماً :)

ترى ماذا يريد منى هذا الحواش ؟ أيريد أن

يصدع رأسى فى الصبح ؟ ! .

الشيخ ضرغام : والله يا شيخ أبا اليسر لو كنت مكانك لانتقلت تواً إلى الضيعة !

الشيخ أبو اليسر : ماهذا الكلام . ؟

الشيخ ضرغام : تراقب عملك من جهة ، وتأمن الغارات من جهة أخرى ؟ أتذكر آخرَ مرة زرنا الضيعة فيها ؟... لقد قضينا أياماً طيبة ...

الشيخ أبو اليسر : كان هذا منذُ ثلاثِ سنينَ أو أربع .

الشيخ ضرغام : قل عشرَ سنين ! .

الشيخ أبو اليسر : عشر ...

الشيخ ضرغام : أو أكثر ...

الشيخ أبو اليسر : كيف ذلك ؟

الشيخ ضرغام : أنت على هذه الحال من هجران الضيعة ، ثم تقول إن الدنيا سلب ونهب ! .

الشيخ أبو اليسر : ولدى ناصح يوالى الضيعة بالزيارة ... فيه الكفاية !

الشيخ ضرغام : هل ذهب إلا مرة واحدة ليرى فيها ما تم فى بناء البرجين ؟

الشيخ أبو اليسر : سأبعث به منذ الآن كثيراً ليراقب العمل هنالك..

الشيخ ضرغام : ناصح بك شاب طيّب النشأ ابن حلال !

الشيخ أبو اليسر : وله إلمام بكل شئون الحياة : فى الزراعة خبير ، وفى الهندسة ماهر ، وفى الطب قدير.. أقسم أنه يستطيع أن يكشف عن الداء ، ويصف الدواء كأشهر الأطباء !

الشيخ ضرغام : (مغمغما) : شاب ابن حلال . . . كان خيراً أن يتمّ دروسه وينالَ الشهادة ! ...

الشيخ أبو اليسر : وما حاجتنا إلى الشهادة يا شيخ ضرغام ؟ ألا ترى أصحاب الشهادات ماذا يفعلون ؟ ..

الشيخ ضرغام : حقاً . . . ولكن . . .

الشيخ أبو اليسر : لقد درس بعض المنهج الثانوى ، ثم أمضى بضعَ سنوات فى انجلترا ، ولولا الحرب لنال الشهادات التى نتمناها له ...

(يدخل كتكوت)

كتكوت : المعلم عويس الخياط قدم . . .

الشيخ أبو اليسر : (بلهفة) : أدْخله . . .

كتكوت : ولكن حواش افندى يقول ...

الشيخ أبو اليسر : (مقاطعاً) : أخرج يا ولد وادعُ المعلم عويس ولا تُثَرْثِرْ . . .

(يخرج كتكوت)

الشيخ أبو اليسر : (للشيخ ضرغام فى اهتمام) : لقد سقط لى شاهيَّة من الطِّراز الأول . . . سنرى ماذا صَنَع بها عويس ؟.

الشيخ ضرغام : عويس خياط لا بأس به . . .

الشيخ أبو اليسر : (مستنكراً) : لا بأس به ؟! . .

الشيخ ضرغام : له فى بعض الأحيان شَطَحات وأفانينُ عجيبة . . .

(يدخل المعلم عويس متأبِّطاً صُرَّة ملابس ولفيفةً بها زجاجات عِطْر)

المعلم عويس : صباحَ الخير ، صباح النور ، صباح الفل ، صباح اللبن الحليب ، صباح . . .

الشيخ أبواليسر : (مقاطعاً ، وقد جذب منه الصُّرَّة) : أرنى ماذا صنعتَ بالشاهيَّة ؟

(يفتح الصُّرَّة ، ويُخْرِج منها الشاهيَّة ، على حين يؤدِّى المعلم عويس التحية البالغةَ

للشيخين مقبِّلا يديهما)

الشيخ أبو اليسر : (للشيخ ضرغام وهو يبسُط أمامه الشاهية) أنظر ... أنظر ... مارأيُك ؟ ؟ .

المعلم عويس : قطعة تَليق بالسلطان.. ليس فى مصر مثيلتها..

الشيخ ضرغام : (يتفحَّصها) : نسجها جيد ، ولكن لونها ..

المعلم عويس : ما لونها يامولانا الشيخ ؟ ! .

الشيخ ضرغام : لونها ... أقصد ... أعنى ... يبدو أنه زاه أكثر مما ينبغى .

الشيخ أبو اليسر : وماذا فى أن يكون زاهيا ؟

المعلم عويس : لون مفرح يبعث فى النفس البهجة والسرور.. أدام الله علينا الأفراح ! .

الشيخ أبو اليسر : الشيخ ضرغام اليوم كئيبُ المزاج ...

الشيخ ضرغام : ألاحظ أن هذه الشاهية تشبه شاهية الشيخ نواعم ...

الشيخ أبو اليسر : الشيخ نواعم ؟ ماهذا الكلام يا أستاذ ؟ !

(يبادل المعلم عويس النظرات)

المعلم عويس : أيلبس الشيخ نواعم هذه الطرف البدائع ؟

ذلك بعيد عليه ... له أقبيته التى تشبه ثيابَ الغوانى والراقصات !

الشيخ ضرغام : ربما كنتُ مخطئاً ...

المعلم عويس : العفو يامولانا الأستاذ ... فضيلتك لم تحلل بالكَ معنا جيداً ..! . وأنت سيد العارفين !

(يرفع صوته فى حماس)

علىّ الطلاق ثلاثاً إن كنت قدمت شاهيّة لفضيلة الباشا لها نظيرة فى مصر ، ... لا يمكن أن أدعَ فضيلة الباشا يرتدى ثوباً يُلبَس مثلُه ...

(يبدأ المعلم عويس يقيس الشاهية على الشيخ أبى اليسر ... أثناء ذلك يُخرج الشيخ أبو اليسر من اللفيفة مجموعة من زجاجات العطر يَنزِعُ سداداتها ويتشمَّمُها مفاضلا بينها . يناول الشيخ ضرغاما زجاجة منها)

الشيخ أبو اليسر : (للشيخ ضرغام) : تعطَّر من هذه الزجاجة وأخبرنى برأيك ؟

(الشيخ ضرغام يأخذ الزجاجة ويَشمها . ثم

يعيدها إلى الشيخ أبى اليسر وقد عاوَدَهُ الضيق) .

الشيخ ضرغام : (فى اقتضاب) : لا بأس ...

المعلم عويس : (يُحَمْلِقُ فى الشيخ ضرغام) : لا بأس؟ ! هذا العطر لا يقالُ فيه : لا بأسَ فقط ... إن الدرهم بثلاثين قرشاً !

الشيخ ضرغام : (مغمغما) : لا يساوى عندى ثلاثةَ مليمات !

المعلم عويس : إن استطعت أن تحصُل عليه بأربعينَ قرشاً قطعت ذراعى !

(يتوقف عن عملة ، ويلتفت إلى الشيخ ضرغام ويصيح) : علىّ الطلاق ثلاثاً ...

الشيخ ضرغام : (مقاطعاً فى صياح أيضاً) : لا داعىَ لهذا الطلاق ...

المعلم عويس : كىْ تصدّقَ !

(الشيخ أبو اليسر يغمز المعلم عويس . يتهامسان ويتضاحكان خُلسةً)

المعلم عويس : (للشيخ أبى اليسر فى صوت خافض) : هل يفهم هو هذه العطور ؟

الشيخ ضرغام : (وقد ضاق صدرُه) : أىّ عطر وأىّ درهم؟ مالنا ولهذا؟ إننا فى شُغل بما نعانيه هذه الأيامَ!.

الشيخ أبو اليسر : هل تعودُ إلى تقطيب الجبين؟!

الشيخ ضرغام : (فى إصرار وتأكيد) : ما هذه الغَفْلةُ ياناس؟ ... الغارات ستشتد ... ستشتدّ ... !

المعلم عويس : الستر من الله ... والمَخْبَأُ على كل حال موجود ...

الشيخ أبو اليسر : مخبأ متين جداً ... ابنى ناصح يقول إن أعظمَ قنبلة لاتؤثّر فيه ...

الشيخ ضرغام : كيف لاتؤثر فيه؟

(فترة صمت)

المعلم عويس : (للشيخ ضرغام) : من أينَ أتيتَ لنا بهذه الأخبار يامولانا؟

الشيخ ضرغام : من رَدْيو أمريكا ...

للشيخ أبو اليسر : متى؟؟

الشيخ ضرغام : اليومَ فى الرابعة صباحا ...

المعلم عويس : هل تسمع الرَّدْيو فى هذا الوقتِ المبكِّر ؟

الشيخ ضرغام : رديو أمريكا لا يُسْمَعُ إلا فى هذه الساعة.. إننى أوقظ ابنى محروساً يترجمُ لى ما يُذاعُ حرفاً بحرف ...

الشيخ أبو اليسر : وكيف تشتدّ هذه الغارات ؟ .

الشيخ ضرغام : يقولون إن الطيارات ستتتابع وليس وراءها إلا القنابلَ المُحْرِقة والقنابلُ الهدامة و و.

المعلم عويس : إنه كلام ...

الشيخ ضرغام : غداً ترى !

الشيخ أبو اليسر : ماهذا ياشيخ ضرغام ؟ أنت رجلٌ مؤمن موحِّد بالله وفى صدرك القرآن الكريم ... ماذا جرى لك ؟

الشيخ ضرغام : أمِنْ أجل أنى مؤمن حافظٌ لكتاب الله أدَعُ القنابلَ تحْرِقُنى وتنقض على رأسى لتمزقنى ؟!

المعلم عويس : عجيب هذا الكلام يامولانا الشيخ ... إن أكبرَ قنبلةٍ إذا نزلت على مثلك ارتدت خائفة خائبة !

الشيخ ضرغام : ولم ؟ ألست من خلق الله ؟ حقاً إنك لرجل لا تحسِنُ الحديث !

الشيخ أبو اليسر : بالله دَعُونا من هذا الكلام واتركوا الأمرَ بيد الله ... وفوقَ كلِّ ذى علم عليم !.

الشيخ ضرغام : صدق الله العظيم ...

المعلم عويس : كلام بديع ...

الشيخ أبو اليسر : (ينادِى بغتة) : كنكوت ... كنكوت ...

كنكوت : (من الخارج) : حاضر ...

الشيخ أبو اليسر : تعالَ مسرعاً يا ولد ...

(هنا يكون المعلم عويس قد انتهىَ من قياسه ... الشيخ أبو اليسر يخلَع القَبَاءَ المقِيس ويرتدى ملابسَه ، يقول للمعلم عويس) : إياك أن تؤخرَه ... أريد أن أرتديَه فى عيدِ ميلاد لولية يومَ الخميس القادم ...

المعلم عويس : من عينىّ الاثنتين يا فضيلةَ الباشا ...

(يدخل كنكوت)

الشيخ أبو اليسر : (لكتكوت) : ألم ينتهُوا من بناءِ مخبأ الديوك يا ولد ؟

كتكوت : لم ينتهوا بعدُ يا سعادةَ الأستاذ . . .

الشيخ أبو اليسر : (محتدّا) : إذاً ماذا يصنعُ المعلم صلوحة البنّاء ؟

كتكوت : يشتغِلُ يا سعادة الأستاذ . . .

الشيخ أبو اليسر : كما تشتغل أنت !

(بعد لحظة)

نادِ سيدَك ناصح بك

كتكوت : سيدى ناصح بك خرج مبكّرا . . .

الشيخ أبو اليسر : إلى أينَ ؟

كتكوت : سمعتُه يقول إنه ذاهب إلى المَعْرِض الزراعىّ . . .

الشيخ أبو اليسر : حسن . . . قل للمعلم صلوحة حين يجىء إنه لا بدَّ من الفراغ اليومَ من مخبأ الديوك . . .

كتكوت : حاضر . . .

الشيخ أبو اليسر : سأوعِزُ إلى ابنى أن يلهبَه فى العمل . . . اذهبْ أنت . . .

(كتكوت متردّدا لا يخرج) : قلت لكَ انصرف . . .

كتكوت : حواش افندى ناظر الضّيعة . . .

الشيخ أبو اليسر : (مقاطعا فى غضب) : وماذا بعدُ يا ولد ؟

(يخرج كتكوت مسرعا)

المعلم عويس : لقد سمعتُ حواش افندى وأنا داخل يقول : الرزّ ! الرزّ ! . . .

الشيخ أبو اليسر : لا بدَّ أنهم لا يجدون فى البلد رزّا . . .

الشيخ ضرغام : الخيرُ كثير فى الريف . . . قلت إنه لا يصلح لك إلا أن تنتقل إلى الضيعة . . .

الشيخ أبو اليسر : أىّ ضيعة يا شيخ ضرغام ؟ وهل يستطيع المرءُ أن يجدَ فيها جُرعةَ ماء نظيف ؟

المعلم عويس : والأدهى من ذلك الناموس !

الشيخ أبو اليسر : والحُميّات — حفظنا اللهُ منها — منتشرةٌ هناك . . . يؤكّد لى ابنى ناصح أن الملاريا والتيفوس و . . .

الشيخ ضرغام : (مقاطعاً) : أىّ ملاريا وأىّ تيفوس ؟ إن الجلسةَ على المصطبَة أمامَ الدار بالدنيا

وما فيها ... الهواء من قوته يكاد يحمل الإنسان حملا من مكانه ! ...

المعلم عويس : والله يا مولانا يوم الحر حرّ فى كل مكان ، واليوم المعتدل معتدل هنا وهنالك ...

الشيخ ضرغام : والغارات ياسيد عويس ؟

المعلم عويس : يامولانا العمر واحد ، والربّ واحد ...

(يُسمع فى هذا الوقت عزف على البيان ، الحاضرون يصغون . المعلم عويس يتابع حديثه) : الله ! نغمات لطيفة ! ... نغمات ما أحلاها ! ...

الشيخ أبو اليسر : (مفتخراً فى إشراق) : ألا تعرف من العازف على هذا البيان ؟؟

المعلم عويس : (للشيخ أبى اليسر) : لايستطيع أحد أن يستخرج هذه النغمات العذبة إلا الآنسة الصغيرة كريمتك يافضيلة الباشا ...

الشيخ أبو اليسر : (مربتا كتف المعلم عويس فى ابتسام) ذكى أنت ياعويس ! ..

المعلم عويس : العفو يافضيلة الباشا ...

الشيخ أبو اليسر : وهل تعرف ما اسم هذه القطعة التى تُعزَف؟

المعلم عويس : إلا هذا يافضيلة الباشا . . .

الشيخ أبو اليسر : (مبتسما فى زَهْو) : اسمُها الفوكس طروط يا نَبِيهُ !

المعلم عويس : (متملِّقاً) : وعلَّم الإنسان مالم يعلم !.

الشيخ ضرغام : لولية بنت حلال . . . وهى ماهرة جدا . . .

المعلم عويس : (للشيخ أبى اليسر) : كانت بارعةً فى خطبتها التى ألقَتْها بالفَرَنْسية فى حفلةِ المدرسةِ الأسبوعَ الماضى . . .

(ملتفتاً إلى الشيخ ضرغام) .

فضيلة الباشا لا ينسانى فى مثل هذه الحفلات الجميلة . . .

الشيخ أبو اليسر : حفلةُ توزيع الشهادات . . . الحفلةُ التى تسلَّمَتْ فيها لوليةُ شهادتَها . . .

(ينادى)

يالولية . . . يالولية . . .

لولية : (من الخارج) : أنا حاضرة يا أبَت . . .

الشيخ أبو اليسر : تعالَىْ سلِّمى على « أونكل » . . .

الشيخ ضرغام : سمعتُ أن الخطبةَ التى خطبَتْها كانت عظيمة . . .

الشيخ أبو اليسر : تكلَّمت فيها عن الإصلاح الإجتماعى فى الريف . . .

المعلم عويس : (صائحاً) : لقد ظل الحاضرون يصفِّقون حتى كلَّت أيديهم إعجابا . . .

(تدخل لولية) فتاة على الطِّراز الحديث ...

لوليـــة : (تتعلق برقبة أبيها مقبلةً إياه) :

« بونجور بابا » . . .

الشيخ أبو اليسر : (يقبلها مبتهجاً) « بونجور » عليك يا ابنتى..

(لولية تُقْبِل على الشيخ ضرغام وتحييه فى أدبٍ تحيةً عصريَّة)

لولية : (للشيخ ضرغام) : « بونجور أونكل » !

الشيخ ضرغام : صباحَ الخير يا ابنتى . . .

الشيخ أبو اليسر : (مبتسما) : ألا تَبْغِين أن تسألى عمَّك الشيخَ ضرغام عن ابنه محروس ! . . . لقد مضى عليه فترة طويلة لم يَزُرْنَا فيها ...

الشيخ ضرغام : محروس منهمك هذه الأيام فى عمل كلفته إياه الوزارة فى الريف ... لقد حضر مساءَ أمسِ ...

(يشرق وجهُ لولية)

الشيخ أبو اليسر : (مداعباً لولية) : أسمعت ؟ لقد عاد محروس من مُهمَّته ...

(كتكوت يدخل)

كتكوت : (للشيخ أبى اليسر) : يا سعادةَ الأستاذ : إن حواش افندى يقول ...

الشيخ أبو اليسر : (غاضبا) : قلتُ لك أكثرَ من مرة لا تقاطعنا ونحن نتكلم ... انصرف !

كتكوت : يا سعادةَ الأستاذ إن ...

الشيخ أبو اليسر : (صائحا) : اخرج خرجتْ عينُك ... ولدٌ جِلْف لم يتمدَّن ...

(بعد لحظة ... مخاطباً الشيخَ ضرغام) تقول إن محروسا نُدِبَتْه الوزارةُ فى مهمَّةٍ إلى الريف ؟

المعلم عويس : لا بدَّ أن يكونَ ذلك من أجلِ التموين ...

لوليـــة : كلا ، أظن أن مهمتـه تتعلق بالطيران المدنى ...

الشيخ ضرغام : الطيران المدنى . كلا ... كلا ... لا شىء من هذا ...

لوليـــة : لقد أغرم بالطيران ، وكانت أمنيتُه أن يكون طيّارا ...

المعـــلم عويس : إنه لائق بالطيران جدا ... قامة ومَنْظَرا ... ولاسيما حين يلبس القبّعة الجديدة ويميلُها على رأسه ...

(لولية تضحك)

الشيخ ضرغام : (فى حدّة) : يستحيل علىّ أن أرضى بدخوله الطيران . . إن ذلك لا يجمُلُ به ! .

الشيخ أبو اليسر : المسألة لا إشكالَ فيها : وحيدُ أبويه لا يقبلُ فى الطّيران ...

لوليـــة : محروس يرى أنه بدخوله الطيران يستطيعُ أن يؤدّىَ إلى وطنه أجلَّ خدمة . . .

الشيخ ضرغام : ألا يستطيعُ أن يخدمَ وطنه وهو يعمَلُ فى الوزارة ؟

لوليـــة : أعمال الوزارة حسنة ولكنها محدودة . . .

الشيخ أبو اليسر : (مجاملها) : سنرى ماذا يكون موقفكِ إذا دخل الطيران فعلا . . .

لوليـــة : « بردون » يابابا . . . أنا التى شجعته على دخول الطيران . . وزينته له . . .

الشيخ ضرغام : أهكذا تشجعينه على الطيران . . . ما كنت أحسب أن ذلك يجىء منكِ وأنت تعلمين أنه غيرُ رغبتى !

(فى هذه اللحظة يدخل حواش افندى ، غيرُ مستطيع أن يضبط عواطفه)

حواش افندى . (للشيخ أبى اليسر) : الرزّ يامعالى الباشا . . . الرزّ . . . الرزّ . . .

الشيخ أبو اليسر : ماهذا ؟ كيفَ تدخل علينا دونَ استئذان . . .

حواش أفندى : الرزّ كاد يتلف . . . مائة وخمسون فدّاناً من الرزّ يبستْ . . . الماءَ . . . الماءَ . . . لاماءَ هناك !

الشيخ أبو اليسر : ومن أين أجيءُ لك بالماء ؟

حواش افندى : نذهب إلى الوزارة ومعاليكم تقابلُ مديرَ مشروعات الرَّىّ ... كلمة واحدة منك تحُلّ العقدةَ وتُنهى الأمر ...

الشيخ أبو اليسر : أذهبُ إلى الوزارة ؟

(متضايقا)

أتريدُنى على أن أقلِقَ الناسَ فى الصباح المبكّر !؟

حواش افندى : إنها مائة وخمسون فدانا توشِكَ أن تذهبَ سُدى !

الشيخ ضرغام : (للشيخ أبى اليسر) : لا مانعَ من أن تذهبَ إلى الوزارة معه لانجاز هذا الأمر ...

(أثناءَ الحديث تنصرف لولية)

الشيخ أبو اليسر : (للشيخ ضرغام) ابنى ناصح قادمٌ الآن من المعرِض الزراعىّ فليذهب هو مع حواش افندى ...

حواش افندى : اصنَع معروفا يا معالى الباشا وأعْفِ ناصح بك من هذا الأمر ... لا تُتْعبْه !

الشيخ أبو اليسر : كيف لا أتعبه ؟ إنه إذا سمع الخبر ذهب من تلقاء نفسه فى لمحة عين !

حواش افندى : معاليك الخير والبركة ، والكلمة منك بألف ...

الشيخ ضرغام : حواش افندى لم يقل إلا الحق ، الكلمة منك ...

الشيخ أبو اليسر : (يقاطعه) واجب علىّ أن أمرن ابنى على أمثال هذا العمل ... وإلا فكيف يتولى أمره غدا ؟ لقد وكلت إليه أن يراقب بناء البرجين فى الضيعة ، والآن أكل إليه مهمة تيسير الماء للرز ...

حواش افندى : (مغمغما جانباً) : إذا عالج مسألة تيسير الماء كما عالج مراقبة البرجين ، فعلى الرز العفاء ، وعلى الدنيا السلام ! !

الشيخ أبو اليسر : بم تغمغم يارجل ...

الشيخ ضرغام : الحق أنه يستحسن ذهابك معه إلى الوزارة ... إنها خطوات ... وفيها لك نزهة ... وإذا تيسر لك الوقت فقابل صديقك الوكيل وكلمه فى نقل ابنى

كما حدثتك من قبل ...

المعلم عويس : ولا تنسني أنا أيضاً يا فضيلة الباشا ... فمن فضلك وإحسانك تمر على السكرتير، وتذكره بطلب العلاوة الموقوفة لزوج ابنتى ...

حواش افندى : (يندفع إلى النافذة يفتحها ويصيح) : يا أسطى عبد الرحمن ... أخرج السيارة ... معالى الباشا يريد الركوب ...

الشيخ أبو اليسر : ماهذا يارجل ... ؟

(المعلم عويس يأتى بعمامة الشيخ ويضعها بعناية على رأسه ويهيىء له طريقا إلى الباب)

المعلم عويس : (للشيخ أبو اليسر) : والله ما يحل المشكلات إلا رجالها ....

(حواش افندى يدفع الشيخ أبا اليسر بلطف إلى الباب)

الشيخ أبو اليسر : (للشيخ ضرغام) : ألا تجيء معى إلى الوزارة ؟

الشيخ ضرغام : لا مانع عندى ...

الشيخ ابو اليسر : إنهم يقدّمون شرابَ «السوبياء» من نوع جيد.

المعلم عويس : والله منذُ زمنٍ طويل لم أذُق «السوبياء»..!

الشيخ ضرغام (لحواش افندى) : كيف الحالُ عندكم في الريف ؟

حواش افندى : حسنة ... كلُّ شيءٍ على ما يُرامَ !

الشيخ ضرغام : والغـــارات ؟

حواش افندى : الغارات؟! وكيف تصلُ الغاراتُ الى الضيعة؟

الشيخ ضرغام : ألا تحدُثُ هناك غارات ؟

حواش افندى : ولا نسمعُ بها !

(يخرجون ... يدخل بعدَ قليل كتكوت وهو مقطّب حائر)

كتكوت (ينادى فى حذر) : يا أمَّ عبد العليم ... يا أمَّ عبد العليم ... أين ذهبتِ ؟

أم عبد العليم (من الخارج) : ما لكَ يا ولد ؟ ...

كتكوت : أدركيني يا أمَّ عبد العليم ! ... أدركيني ! ..

(تدخل أمُّ عبد العليم)

أم عبد العليم : ماذا جرَى يا كتكوت ؟

كتكوت (مستغيثا) : الديكُ أبو حريرة على وَشكِ

الموت ...

أم عبد العليم : لماذا يا ولد ... بَعُد الشر ... ادهنه بالخل وأخرجه الى الشمس ...

كتكوت : تعالىَ ندهُنه معا ...

أم عبد العليم : إياك أن تكون قد أطعمتَه من الطعام الذى أمرَكَ بصنعِه سيدُك ناصح بك ...

كتكوت : وماذا أطعِمه إذن ؟!

أم عبد العليم : أما قلت لكَ يا منحوسُ أطعِمه من الفتّ الذى أُطعمُ منه سائرَ الديوك ؟ ... لأىّ سبب جعلتَ تطعمُ الديكَ أبا حريرة منَ الطعام الجديد ؟!

كتكوت : سيدى ناصح بك شدَّد علىَّ فى تنفيذِ أمرهِ .. إنه يُجرى عليه تجاربه الزراعية ..

أم عبد العليم : تجاربه الزراعية ؟! ... تعالَ ... تعالَ ... (يدخل فى هذه اللحظة ناصح بك. يقع بصرُه على كتكوت)

ناصح (لكتكوت) : اسمَعْ يا ولد ..

كتكوت : أفندم ...

ناصـــح : أبى هنـا ؟

(يتثائب ويتمطى)

كتـكوت : خرج منذُ قليلٍ يا أفندم ..

ناصـــح : سأل عنى ؟

كتـكوت : نعم يا أفنـــدم ... وقلتُ له : ذهب الى المَعْرِض الزراعىّ ..

ناصـــح : أىّ معـرض زراعى ؟ قلت لك الجمعيـة الزراعيةَ يا بهيمُ .. ألم تشرحْ له أنى خرجتُ مبكراً لأشهدَ حَلْبَ البقر وعملَ الجُبْن والزُبْد هنـاك ؟

كتـكوت (مرتبكا) : شرحتُ له كلَّ شئ !

ناصـــح : حسن .. وأبو حريرة ؟ كيـف حـاله ؟ ألا يَسْمَن ؟

كتـكوت (يزداد ارتباكه) : يسمن جدّا .. غير أنه أصيبَ ببرد خفيف !

ناصـــح : لا يهـم .. دلّـكه بزيت الأوكلبتوس المركّز .. أوقدْ له المدفأةَ فى القفصَ رقم ٥ واحبسه فيه .. أفهمتَ ؟

كتكوت : فهمت يا أفندم ...

ناصح (وهو يتثاءب): أما الأكل فكما هو ... من الخلطة التي عرفتك إياها .. أفهمت ؟

كتكوت : فهمت يا أفندم ...

(يخرج كتكوت وهو يتسار مع أم عبدالعليم في حذر واهتمام .. ناصح يتهالك على المتكأ متعبا)

ناصح (مغمغما): حقا لقد دبرتها لي ..! فلتنتظر ...!

(يدخل محروس ولد الشيخ ضرغام وهو في لبوس البوليس الخاص)

محروس (وقد سمع ما تفوه به ناصح): من هي يا سيد ناصح التي دبرتها لك ؟!

ناصح : أأنت هنا يا محروس ؟ فرصة طيبة !

(يحدق في لبوس محروس)

ما هذا الذي تلتبسه ؟

محروس : هذا هو الزي الجديد للبوليس الخاص ؟

ناصح : أتطوعت ؟

(يتثاءَبُ)

محـــروس : نعم تطـوَّعتُ .. أخـبِرْنى : أين لولية ؟

ناصـــح (فى غير اهتمام) : ما برحتْ نائمة .. وهل أذِنَتْ لك الوزارةُ أن تتطـوَّعَ فى البوليس الخـاص ؟

محـــروس : نعم أذنتْ لى ..

ناصـــح : وماذا أعجبَكَ فى البوليس الخـاص ؟

(يتثاءب)

محـــروس : الحقّ يا ناصح أنه عملٌ رياضىّ لطيف . وهو يشعِرُنا بأن علينا واجبًا لوطننا نؤدِّيه ...

ناصـــح (دونَ مبالاة) : إن كان من هذه الوجْهة فهو عمل لا بأس به .. ولكن ...

محـــروس (مقاطعا إياه) : الحقّ يا ناصح أن البوليس الخاص يعلّم الإنسانَ كيف يكونُ النظامُ .. النظامُ العسكرىّ الذى يدعو إلى الاعجاب .. كأننا فى ثُكْنَةٍ حربيةٍ .. كلنا هنالك سواء ..

ابنُ الباشا وابنُ الافندى معا جنبا َ الى جَنْب !

ناصـــح : (مداعبا فى شىء من السُّخْرية) : مَرْحى يا سيد محروس. لقد صرتَ فى آخرِ الزمن جندِيًّا لا هنا ولا هناك !

(يتثاءب فى شدّة ويرسل صوتا مزعجا)

محـــروس : ما هذا يا صاحبى ؟ لقد طال تثاؤُبُكَ حتى جَلَبْتَ علىَّ النوم !

(يتثاءب)

ناصـــح : وماذا أصنع ؟ ألم أستيقظْ فى الخامسةِ صباحا ؟

محـــروس : فى الخامسةِ ؟ ... ولم ؟

ناصـــح : من أجلِ دَلالَ يا سيدى .. دلال فهمى ..

محـــروس : الفنّانة التى تعمل فى مَنْهى النور ؟

ناصـــح : هى عينُها !

محـــروس : ومالك ولدَلالَ هذه ؟

ناصـــح : لم أعرِفْ فتاة تُنْكر الجميل إنكارَها له .. سمعتُ منذُ أيام أنها مسافرة الى فِلَسْطين

لتقيمَ حفلات هناك فأعلمتُها بأنى لا أوافقُ على هذا السفر، ولا بد أن تلغىَ هذه الرِّحْلة ..

محـــروس : فلم تسمع لك وأصرَّتْ على السفر ..

ناصـــح : كلا بل وعَدَتْنِي بأن تبقىَ ... وأمس فى منتصَفِ الليل كلمنى ابو العافية بالتليفون وأبلغنى أنها ستستقلُّ الطيارةَ الى فِلَسْطين فى الساعة السادسةِ صباحا ...

محـــروس : أى أنها لم تستمعْ لقولك، ولم تأتمرْ بأمرِك !

ناصـــح : سترى كيف تستمع وتأتمرُ !

محـــروس : وهل لَحِقْتَ بها فى المَطَار ؟

ناصـــح : حين وصلتُ الى المَطار كانت الطيارةُ قد ارتحلتْ .. لا بأسَ .. غدا ستعرفِ عاقبةَ هذه المخالفة ..!

محـــروس : دَعْكَ من هذه المضايقات .. إنها فرصة تتخلَّص فيها من دلالَ ومن رذائلِ دلالَ !...

ناصـــح : ما هذا الكلامُ ؟ لا بد أن أريَها كيف تبعدُنى ثم لا تنى !

لولية (من الخارج منادية) .. يا أمَّ عبد العليم .. يا أمَّ عبد العليم ... أين أنتِ ؟

محروس : هذا صوتُ لولية .. إئذَنْ لى ...

(يخرج متَّجهاً صوبَ الصوت)

ناصح (وهو يتثاءب) : اذهب حيثُ شئتَ يا صاحبى !

(يسير لحظةً فى كسل وتراخ)

(يقع بصرُه على المنظار المكبِّر ملقىً على أحد المتكآت ، يتناوله ويعبثُ به . ثم يتجه نحوَ النافذةِ يفتحها . يصفرُ وقتاً صفيراً خاصاً . يبتسم ، يضحك ، يشير إشارةَ تحيةٍ وترحيب ، يضع المنظارَ المكبر على عينه ، وهو ما قىء يتضاحك ...)

ناصح (ناظراً إلى فتاةِ الجيران الواقفة بالنافذة أمامَه ، يتحدث فى صوت تسمعهُ الفتاة على خفوته ، يُصْحِبُ أقوالَه بإشارات وغمزات) : الوردةُ التى تضعينها فى شعرك

بهيةُ المنظرِ.. أستطيع أن أعُدّ لك أوراقها ورقةً ورقة...

(يضحك)

والمشبك الذى يبدُو على صدرك يدلُّ على ذَوْق صاف... إنى أراه حقا...

(يَعُدُّ فصوصه)

فيه فصّ.. فصّان.. ثلاثةُ فصوص..

(يضحك)

أما تصفيفُ الشعر فإبداع ليس وراءَه إبداع!...

(يدخل محروسٌ ولوليةُ على ناصح فيباغتانه وهو يرسلُ فى الهواءِ قبلةً طويلة)

لولية (ثائرةً): هذه الأمورُ لا تروقُنى!..

(تقصد إلى النافذة فوْراً وتُغلقها.. ناصح يتضاحك وهو يعبثُ بالمنظار المكبّر...

لولية تتابع كلامها)

أبى لوْ عَلِمَ ما تصنع لاشتدّ به الغضب..

أنت تعرف أن أمّ الفتاة تظنُّ المسألةَ جداً لا هزلَ فيه .. وتقول إنك ستخطب ابنتها عما قريب

ناصح : كلُّ شيء يهونُ إلا هذا ...

لولية : ألا تترك إذن بنتَ الناس لشأنها ..

ناصح : وماذا تأخذين عليّ ؟

لولية : أفوق هذا ؟ كل يوم لك معها وَقفة !

ناصح : يظهر أنك تبغين أن تصدّعي رأسي بهذا الكلام الفارغ .. ولست الآن متحملا لكل ذلك .. أتركُ لكِ الحجرة .. سأذهب لأغفو لحظة .. « باى باى » !!

(يخرج)

محروس : الحق أن ناصحا غيرُ مُصيب فيما يعمل ...

لولية : وأنتَ أيضا غيرُ مصيب ...

محروس : لماذا ؟

لولية : أنا عاتبةٌ عليك ! .. كيف لا تحضر حفلةَ توزيع الجوائز فى المدرسة ؟

محروس : ألم أقلْ لك إنى نُدبتُ من الوزارة لمهمة فى الريف ؟

لولية : كان عليك أن تحضر ..

محروس (يأخذ يدها بين يديه) : أنت على حقّ ... كان علىّ أن أحضر .. اغفرى لى هذه المرة ..

(يقبلُ يدها .. ثم يتفرس فى كفّها ..

أجملُ كفٍّ شاهدتُها فى حياتى !

لولية : كم كفّاً شهدتَ فى حياتك ؟!

محروس (مبتسما) : لم أشاهدْ غير كفك ...

لولية : من أين علمتَ إذن أنها أجملُ كفّ ؟

محروس : أجمل كفٍّ سوّاها الله .. دونَ شك !

لولية : يا خبيث ...

محروس : وحياتك عندى !

لولية (متدللة) : أأعجبتْكَ كفّى حقا ؟

محروس : أعجبتنى جدّا ...

(يقبلُ يدها ثانية)

لولية (تقبل عليه وتعبثُ بأزرارِ سترته)

لوليـــة (فى دلال أيضا) : ما زلتُ عاتبةً عليك !

محروس : ألم أستغفرْك وغفرتِ لى هذه المرة ؟!

لوليـــة : كيف تنضمُّ إلى البوليس الخاص دونَ علمٍ منى ؟!

محروس (وهو يداعبُ يدها) : لو كنتِ تعلمينَ لعارضْتِنى !

لوليـــة : إنه عمل محفوف بالخطر . .

محروس : والحياةُ بلا خطر تفقد ميزَتها . .

لوليـــة : هذه فلسفتُك . . فلسفةُ الرجل !

محروس (مبتسما ملاطفا) : وفلسفتكِ أنتِ ؟ فلسفة المرأة . . ما هى ؟

لوليـــة : فلسفةُ المرأة لا يستطيع فهمَها الرجل !

محروس : لماذا ؟

لوليـــة : فلسفتُنا منبعُها القلب . . أما فلسفتكم . .

محروس : فمنبعها العقل ! . .

(يضحك ويلاطف يدَها . . هى ناظرة إليه فى هيام . . يقفان لحظةً على هذه الحال ثم

لا يلبثان أن يسمعا لغطا فى الخارج . يقصدان إلى النافذة يفتحانها ويتطلعان)

محروس : هذا عمى الشيخ أبو اليسر ومعه أبى . . بادياً عليهما الاضطراب والتضايق .

بائع الصحف (من الخارج وهو ينادى فى الشارع) : مُلحق اليوم . . حادثة اسكندرية . . خبر آخر ساعة !

لولية : ملحق عن حادثة اسكندرية . .

محروس : إنه كلام فارغ . . شأنَ الصُّحف هذه الأيام

الشيخ أبو اليسر (صائحاً فى غضب) : يا ولدُ يا كتكوت . . يا ولد يا كتكوت . .

لولية : حقا إن أبى مفعَمٌ غيظا . .

محروس (يأخذها من يدها) : تعالىْ ندخلْ لننظر فى دفتر الصُّور إلى أن تهدأ العاصفةُ وتمرّ بسلام . . .

(يدخلان . . يُقْدِمُ الشيخ أبو اليسر بعد لحظة ثائراً ومعه حواش افندى والمعلم عويس)

الشيخ أبو اليسر : أين ذهبَ الواد كتكوت ؟ فى أىّ داهية اختفىَ ؟

المعلم عويس (يهرع فى تملُّق إلى النافذة ويصيح متغاضبا) :يا ولد يا كتكوت.. يا ولد أجِبْ سيدك!

كتكوت (من الخارج) : حاضر.. حاضر..

المعلم عويس : (وقد تحمس أكثر من ذى قبلُ) : تعالَ يا ولد.. لقد طالما ناداك فضيلة الباشا حتى بُحَّ صوتُ فضيلة سعادته!.. ألا تستحى! (يُغْلِقُ النافذةَ ويعود متظاهراً بالغضب والمشاركة للشيخ أبى اليسر)

(يدخل كتكوت)

الشيخ أبو اليسر (صائحا) : أين كنت يا ولد؟.. انْطِقْ؟.. أين كنت؟..

كتكوت : (مترددا حائرا) : كنت.. كنت.. أساعد أمَّ عبد العليم فى..

الشيخ أبو اليسر (مقاطعا) : ألا تعرفُ أمُّ عبد العليم أن تقومَ بعملها وحدَها؟

كتكوت : أصل الحكاية...

الشيخ أبو اليسر (مقاطعاً) : لِمَ لَمْ تكنُسْ فِناءَ الدار

يابهيم؟ ألم آمرك بأن يكون هذا أول عملك ؟!.
الناس داخلون خارجون منذ الصباح . . .

المعلم عويس : دار عامرة دائما بوجودك يافضيلة الباشا ...

الشيخ أبو اليسر : مِثْلُ حواش افندى يحضر من الضيعة ليسخرَ من بيتنا وما فيه من فوضى وسوء تدبير !.

حواش افندى : العفوَ يا معالىَ الباشا . . . أملى أن نُنْهِىَ موضوع الرزّ . . .

الشيخ أبو اليسر : سنتهى موضوعه . . . لماذا تُعجِلُنا هكذا ياحواش افندى ؟.

حواش افندى : ألم نكن فى طريقنا إلى الوزارة ؟

الشيخ أبو اليسر : وماذا نصنع مع الشيخ ضرغام ؟ ماكاد يسمع راديو قهوة جعفر يُذيعُ الأخبارَ حتى أنى إلا أن ننزلَ وإلا أن نسمع . . وقد سمعنا الأخبار الطيبة جداً . .

(يلتفت حوله)

أين الشيخ ضرغام ؟

كتكوت : لمحته يحاول اللحاق ببائع الصحف ليشترى الملحق !

المعلم عويس : ألم يكفنا ماسمعناه من الراديو ؟

الشيخ أبو اليسر : كانت هناك غارة على الاسكندرية ..

المعلم عويس : يَلْطُف بنا الله ...

حواش افندى : وهل نحن مخلَّدون فى هذه الدنيا ؟

(مغمغما)

«فإذا جاء أجلُهم لايستأخِرُون ساعةً ولا يستقدمون» ..!

الشيخ أبو اليسر : أتبغى من أجل هذا أن نرمى بأنفسنا فى المهالك ؟!

حواش افندى : ما كُتِبَ على الجبين، لابد أن تراه العيون .!

الشيخ أبو اليسر : وهل أنكرْنا شيئاً من هذا ؟ ! ... كلٌّ ماقدره الله علينا سنلقاه ... وكان الله بالناس رءوفاً رحيما ! .

(يلتفت إلى كتكوت)

أين سيدُك ناصح ياولد ؟

كتكوت : نائم ياسعادة الأستاذ ...

الشيخ أبو اليسر : كيف ينامُ الآن ؟.

كتكوت : يستريح قليلا ... إنه استيقظ مبكّراً وذهب إلى المعرض الزراعى ليشهد حلْبَ الألبان وصُنْعَ الجبن والزُّبد ... وقد رجع من المعرض متعَباً ...

المعلم عويس : حماه الله ، وكان فى عونه !

الشيخ أبو اليسر (مردّداً) : أىّ جُبن وأىّ زُبد ؟

حواش افندى : يامعالى الباشا ... ما هىَ إلا خُطوتان إلى الوزارة .. دقائق معدودات نُنْهى فيها أمرنا !

الشيخ أبو اليسر (غيرَ مَعْنِيٍّ بما قال) : رجعنا من القهوة لنتحدث فى شأن هذه الغارة الملعونة ، ونتخذ ما يلزم من الحيطة ، ولكننا لم نفعل شيئاً ... الشيخ ضرغام تركنا ومضى إلى بائع الصحف ولم يبالِ بنا ... أما ناصح فنائم يَغُطّ ... وأمرنا إلى الله !

(يضرب كفّاً بكف ... يقول لكتكوت فى حِدَّة :) ومتى تكنُس الفِناءَ ياولد ؟

(يقترب منه متنمّراً .. كنكوت يتراجع منكمشاً)

كنكوت : حالا ياسعادة الأستاذ ... !

(لا يكاد كنكوت يخرج حتى يَصِيحَ به الشيخ أبو اليسر)

الشيخ أبو اليسر : ياولد يا كنكوت ... ياولد !

(يعود كنكوت مهرولا) اذهبْ فأيْقِظ سيدَك ناصحاً .. أيْقِظْهُ فوراً ... وابحث عن الشيخ ضرغام فى كل مكان ..

كنكوت : حاضر ... حاضر ...

(لا يكاد كنكوت يصل إلى الباب حتى يلحقَ به الشيخ أبو اليسر ويقول له فى صوت خافض)

الشيخ أبو اليسر : اسمع ياولد ... اشترِ نسخة من الملحق الذى ينادَى عليه الآن ...

(يناوله قرشاً)

هيّا .. لا تبطىء !

(يخرج كنكوت)

حواش افندى : الرّز يا معالى الباشا ..

الشيخ أبو اليسر (بعد لحظة كأنه يناجى نفسه) : ثم ماذا فى شأن ناصح هذا ؟

يتجه نحو الباب المفضى إلى داخل المنزل .. ينادى) : يا ناصح .. يا ناصح ..

ناصح : (من الداخل فى صوت مُتراخ) : نعم يا أبت ؟!

الشيخ أبو اليسر : استيقظ يا بنى وتعال نتحدث وقتا ..

ناصح (من الداخل) : حاضر يا والدى ..

(يدخل ناصح فى شكل غير لائق ، لا سترة عليه ، يظهر صدره من فتحة القميص ، أشعث الشعر .. يتثاءب ثم يتكلم) :

« بونجور بابا »

الشيخ أبو اليسر : بونجور عليك يا ابنى ..

ناصح (للمعلم عويس) : اهلا عويس افندى . كيف حالك ؟

(يصافحه)

المعلم عويس (يحييه فى احترام كبير) : حفظك الله ياسعادة البك ولا حَرمَنا فضلك وإحسانك . . . لعلك تكون مسرورا بالعباءة ، أرجو أن تكون قد وافقتْ ذوقك . . .

ناصح : مسرور جداً . عباءة عظيمة . . كل الذين شهدوا حفلة التنكُّر الراقصة أعجبوا أيَّما إعجاب بهذه العباءة . . .

المعلم عويس : أدام الله عزّك وأبقاك لتُبْلِيَ عددَ خيوطها !

الشيخ أبو اليسر (وهو ينظر فى ساعته وكأنه يحدِّث نفسه) : الولد كتكوت أبطأ .. يظهر أنه لم يجد الشيخ ضرغاما . . .

ناصح : أوَ قد ذهب لينادِيه ؟

الشيخ أبو اليسر : ألا تعلم أن هناك غارةً وقعت فى الاسكندرية ؟

ناصح : متى كان هذا ؟

الشيخ أبو اليسر : البارحة . . سمعنا أخبارَها فى الرَّدْيو منذ ساعة . . .

(حواش افندى يتقدَّم من ناصح ويحييه)

ناصح : أأنت هنا يا حواش افندى ؟.. ماذا جاء بك ؟

حواش افندى : الرزّ .. الرزّ يا بك !

ناصـــح : تقصد بذور الرزّ ؟

حواش افندى : بذور الرزّ ؟ لقد زرعناها وظهر النَّبْت من زمن .. نحن ...

الشيخ أبو اليسر (لناصح مقاطعاً حواش افندى) : كانت هناك غارة على الاسكندرية

ناصـــح (لوالده) : كيف كانت ؟

الشيخ أبو اليسر : كانت شديدة ...

(كأنه يحدّث نفسه)

لست أدرى ماذا أبطأ بالشيخ ضرغام كل هذا الوقت ؟ !

ناصـــح (لوالده) : أوَحدَث إتلاف وإضرار من جراء الغارة ؟

المعلم عويس : لقد لطفَ اللهُ بعباده ...

الشيخ أبو اليسر : لولا لطفُ الله لضاقت علينا الأرض بما رَحُبَت .. كنا فى طريقنا مع الشيخ ضرغام فى أمان الله إلى الوزلرة فسمعنا رديو قهوة جعفر فرجعنا أدراجنا كما ترى ...

ناصـــح : ولماذا رجعتم ؟

الشيخ أبو اليسر : من أجل الشيخ ضرغام . . . يريد أن يعقد مجلسا من الأسرة لنتشاور فيما نصنع بعد أن علمنا ما كان من أمر الغارة فى الاسكندرية . . وأين هو الشيخ ضرغام الآن ؟

(تسمع ضجة فى الخارج . . . يُهْرَعُ الشيخ أبو اليسر إلى النافذة ثم يصيح :)

إنه قدم . . . أسرع ياشيخ ضرغام . . .

(يعود إلى مكانه الأول ، يقول لحواش افندى)

لو كنا ذهبنا إلى الوزارة من وقتئذ لكانت مسألة الرز قد انتهت الآن . . . !

(الشيخ ضرغام يدخل كالزوبعة ، ومعه بضع نسخ من جريدة . ينهج ويمسح وجهه بمنديل . الشيخ أبو اليسر يقول له) :

أكذا تتركنا لا تلوى على شىء ؟

الشيخ ضرغام : غارة . . غارة . . اقرءوا . . .

(يوزع الجريدة على الشيخ أبى اليسر وناصح، ويستبقى نسخة فى يده)

الشيخ أبو اليسر (يقرأ مغمغما فى اهتمام) : يالطيف . . . !

(يرفع وجهه عن الصحيفة ويهز رأسه)

الشيخ ضرغام : رديو أمريكا لا يكذب أبدا . . ألم أقل لك إن الحالة سيئة ؟

(الشيخ أبو اليسر يقرأ وقتاً فى صوت خافت، ناصح يطالع الجريدة جانباً والمعلم عويس يشاركه متطفلا)

(الشيخ ضرغام يسير خطوات متأثراً ثم يعود إلى الجمع)

(ثم يعود إلى السير ثائراً)

حواش افندى (مهتاجا) : لكل امرىء نصيبه من دنياه !

الشيخ أبو اليسر (وقد رفع وجهه عن الصحيفة يغمغم) : الحالة غاية فى السوء !

الشيخ ضرغام : نعم غاية فى السوء . . . حالة لا تطاق !

الشيخ أبو اليسر (لناصح) : وما رأيك يا ناصح ؟

ناصح (بعد تمهل) : رأيى أن الاحتياطات لم تكن كافية !

الشيخ ضرغام : الاحتياطاتُ ؟ وماذا تجدى الاحتياطات فى اتّقاء هذه القنابل ؟

ناصـــح : كان واجباً أن يوضعَ الرمل عـــلى سطوح المنازل بمقياس مترين على الأقل . . .

المعلم عويس : سمعتُ حقاً أن الرمل . . .

الشيخ ضرغام (مقاطعا) : أىّ رمل يا ناس ؟ وماذا يجدى ؟!

ناصـــح : يحمى كثيراً . . .

(فى توكيد للشيخ ضرغام)

لم تكن الاحتياطات كافية يا أستاذ !

الشيخ أبو اليسر : ترى أننا لو وضعنا على سطح البيت مقياس مترين من الرمل نأمن جانبَ الغارات ؟!

ناصـــح : وهل فى ذلك ريب ؟

حواش افندى : يا معالى الباشا . . موعد انصراف الدواوين قد أزِف . . .

الشيخ أبو اليسر (لحواش افندى) : أهكذا تقاطعنا فيما نقول ؟

(حواش افندى يستسلم لليأس والتبلّد . . .

الشيخ أبو اليسر يوجّه الكلام إلى ناصح والشيخ ضرغام)

إن كان الأمر يتوقّف على الرمل فالحمدُ لله
على أنه كثير فى متناولنا . . .

(يهرولُ نحوَ النافذة وينادى) :

يا ولد يا كتكوت . . يا ولد يا كتكوت . .

كتكوت (من الخارج) : حاضر ! . .

الشيخ أبو اليسر : ألم يجىء المعلّم صَلوُحة المقاول ؟

كتكوت (من الخارج) : لم يحضر بعد ياسعادة الأستاذ ؟

الشيخ أبو اليسر : إذا جاء فأخبرنى تَوًّا . .

كتكوت (من الخارج) : سمعاً وطاعة . .

(الشيخ أبو اليسر يعود)

ناصح : إنها مسائل علمية مجربة . .

المعلم عويس : حقاً التجربة خير برهان . . وهل فى ذلك شك؟ . . ناصح بك حماه الله يقول كلاماً لا غُبارَ عليه !

الشيخ أبو اليسر : وما الرأى إذن ؟

الشيخ ضرغام : ليس هناك إلا رأى واحد . . .

الشيخ أبو اليسر (بلهفة) : ما هو ؟

الشيخ ضرغام : الهجرة . . . لا مُنْقِذ إلا الضيعة . . .

نجمع شتاتنا ونقضى فى الضيعة أياما حتى تنجلىَ الغُمَّة . . .

ناصـــح : فكرةٌ تفتقر إلى بحث وتمحيص . . .

الشيخ أبو اليسر (فى ضيق) : من أجل هذا نريد أن نناقش فى الموضوع . . .

المعلم عويس : أجل ، لا بدَّ من بحث المسألة على مختلف وجوهها . . أما السفر بلا عُدَّة ولا تدبُّر فأمر لا معنى له ولا مقتضىَ . .

الشيخ ضرغام : تريدُ منا أن ننتظرَ حتى تسقطَ القنابل على رءوسنا ، ثم نفكر بعدئذ ونتدبر الأمر ؟!

المعلم عويس : لا قنابلَ إن شاءالله . . مصرُ محميَّة بالأولياء .

ناصـــح (يتضاحك فى تعاظُم) : وماذا يصنع الأولياء فى هذه المسألة يا سيد عويس ؟

الشيخ أبو اليسر : الأولياء منهم الخير والبركة يا بنىّ !

الشيخ ضرغام : اسمعوا كلامى ، وخذوا بنصحى ، وهيا بنا إلى الضيعة نتَّقِ الشر الذى يهجُم علينا إن بقينا لا محالةَ . . .

حواش افندى (يتقدم مستغيثاً بالشيخ أبى اليسر) : يا معالى الباشا اصنع معروفا وهيا بنا إلى الوزارة . .

المعلم عويس : ثم ماذا يا حواش افندى ؟ أوَ كُلُّ المسائل تُحَلُّ مرةً واحدة ؟ . . البَثْ حتى نخلص من المسألة التى بين أيدينا . . .

(حواش افندى ينفخ)

ناصح (لحواش افندى) : ما الموضوع ؟

حواش افندى : الماء تأخر عن الرزّ يا سعادة البك . . !

ناصح : ولِمَ لمْ تخبرنى تلفونيا لأعملَ فى الحال على تيسير الماء المطلوب . .

الشيخ أبو اليسر (لحواش افندى) : حقا لمَ لم تخبرنا تلفونيا ؟ لو فعلتَ لوصل إليك الماءُ بلا تأخير . . .

حواش افندى (وقد نفد صبره) : أخبركم تلفونيا ؟ وهل أجد أحدا يهتم لى ويرد علىّ ؟ طالما أرسلت إليكم برقيات دون فائدة . . يا ناس . . يا عالمَ .

الشيخ أبو اليسر : الزَمْ جانبَ الأدب أيها الرجل . . لا ترفعْ صوتك علينا . . .

الشيخ ضرغام : اسمع يا حواش افندى . . سنُنْهى لك مشكلة

الماء اليوم فى الوزارة ..سيجيئك الماءُ الليلةَ..
والآن اذهب أنت إلى الضيعة ، ولتعدّ البيت
لسُكْنانا..

(حواش افندى غيرُ مطمئن إلى هذا القول
يتحدث لحظةً جانبا فى صوت خافت مع
الشيخ ضرغام.. يدخل فى هـــذا الوقت
محروس ولولية..
الشيخ ضرغام مشغول بالكلام مع حواش
افندى..لا يرى القادمين)

الشيخ أبو اليسر (لمحروس) : محروس أهنا ؟ أهلا وسهلا..
(محروس يقبّل يد الشيخ أبو اليسر) كيف
حال الريف يا بُنىّ ؟ التموين. الأمن. الغارات.

محروس : الحَقّ يا عمى أن الحالة هناك خيرٌ منها هنا
على وجه العموم..

الشيخ أبو اليسر (يحدّق فى ملابسه) : ما هذه السّترة التى
ترتديها ؟

لوليـــة : إنه تطوعَ فى البوليس الخاص..

(الشيخ ضرغام ينتبه ، يتجه نحو لولية ،وحالما

يقع بصره على محروس وهو فى لبوس البوليس الخاص يظهر عليه الدهش والامتعاض . .)

الشيخ ضرغام : ماذا ترتدى ؟

(المعلم عويس يلمس سترة محروس متفحصا)

المعلم عويس : نسيج جيد . . يظهر أن البوليس الخاص يدفع لحلله أثمانا مرتفعة . .

الشيخ ضرغام (لمحروس) : البوليس الخاص ؟ أنت ؟ . . أنت ؟ . . (متلجلجا)

ناصح (للشيخ ضرغام) : إنها خدمة وطنية لها قيمتها.

الشيخ ضرغام (وقد انفجر صائحاً لمحروس) : وتجرؤ على أن تصنع هذا دون أن تحصل على إذنى ؟

لولية : ولم يحصل على إذنى أنا أيضا . .

الشيخ ضرغام (محتجاً فى عنف) : أنا لا أسمح لك قط بأن تقوم بشىء لم تستأذنى فيه !

الشيخ أبو اليسر : دعه مشتغلا فى البوليس الخاص حتى يشبع رغبته يومين ، ثم يرجع إلينا كما كان . .

الشيخ ضرغام : لا أدعه يشتغل بهذا يوماً واحدا !

(لمحروس)

اليوم تذهب لتستقيل من هذا العمل حتما ..
أسامع أنت ؟ .. معى إلى الوزارة .. هيا !

محروس : يا أبتِ ، حلمك ! .. ألعبٌ هو ؟

الشيخ ضرغام : لعب أو غير لعب .. ستذهب معى إلى الوزارة.

حواش افندى : فلنمر أولا بتفتيش الرىّ لننظر فى مشكلة الماء للرز ..

الشيخ أبو اليسر : حسن .. حسن .. سنمر بكل شىء يعنينا .. بيد أننا نريد أن نتداول القول فى موضوعنا المهم ..

(يُسمع نباحُ كلب)

ما هذا العُواء ؟

(الكل يتسمعون)

ما هذا العُواء يا ناس ؟

ناصح : يظهر أنه «فوكس» كلب الجيران .. ربما كان يستحمُّ الآن ...

الشيخ ضرغام (لمحروس) : أنويتَ العمل بمشورتى أم لا ؟

محروس : اصنع معروفا يا أبى وهدِّئْ من ثورتك ..

الشيخ ضرغام : كيف يخطر ببالك أن تلحق بالبوليس الخاص دون أن تستأذنني ؟

محروس : أما زلتَ تحسبُني طفلا صغيرا ؟

الشيخ ضرغام : أو كبرْتَ جدّا ؟

محروس : المسألة هينة . . دعني أفهمكَ في هدوء . .

الشيخ ضرغام (في حزم وصياح) : لا بد أن تستقيل اليوم من البوليس الخاص . . أفهمت ؟ . .

محروس (في حدّة) : كلاّ ، لن أستقيل . .

الشيخ أبو اليسر (للشيخ ضرغام) : محروس كاملُ العقل لا شك ، وإنه ليسمع كلامك . دع هذه المسألة لي ، ولن يكون إلا ما ترضاه . .
المهم الآن أن نقرر شيئا فيما يتعلق بالسفر إلى الضيعة . .

الشيخ ضرغام : في الزمان الأغبر أرى ولداً لي في الشارع يعمل عسكري مرور . . وافرحتاه !
(للشيخ أبي اليسر)
استمع إليّ . . إني ذاهب إلى الوزارة فالحقوا بي هناك . .

(يرمق ابنه بنظرة نكراء)

ابن الشيخ ضرغام عسكرى مرور . . ايه ! . ايه ! . .

(يخرج كالزوبعة)

حواش افندى (للشيخ ضرغام) : انتظر حتى أرافقك . .

(يتهيأ للخروج)

الشيخ أبو اليسر : إلى أين يا حضرة الأفندى ؟ ألم أقلْ لكَ انتظر لنخرجَ معا ؟

(يبقى حوّاش افندى وهو يَزْفِر)

المعلم عويس : إن أردتم الحقّ فالشيخ ضرغام ليس له أن يثورَ على محروس بك هذه الثورة . .

الشيخ أبو اليسر : سيزول كلُّ خلاف وتعودُ إلى نصابها الأمور . .

لوليـــة (لمحروس جانبا) : لا تنسَ أن تأخذَ صورة لك وأنت فى هذا الزىّ قبل أن تستقيل من البوليس الخاص . .

محروس (فى صوت عال) : أنا لن أستقيلَ . .

الشيخ أبو اليسر : كيف لا تستقيل ؟ إذا لم يكن بدٌّ من بقائك

فلتطلبْ إجازة بضعة أيام ..

محروس : ولمَ أطلبُ إجازة ؟

الشيخ أبو اليسر : لتستطيعَ أن تكون معنا فى الضيعة أيامَ الإجازة ..

ناصح (لمحروس) : ألم تقرأ الجريدة التى ظهرت اليوم ؟

(ناصح يناول محروسا الجريدة ..
محروس يطالع فيها ..
لولية تقرأ معه)

محروس (للشيخ أبى اليسر): أفى هذا الوقت العصيب يا عمى والبلدُ أحوج ما تكون إلينا أستقيل من البوليس الخاص أو أطلب إجازة ؟ ليس فى مستطاعى أن أسافر معكم .. هيهات !

ناصح : كل امرئ فى طَوْقه أن يخدمَ بلده حيثما كان ..

الشيخ أبو اليسر : هذا صحيح .. والريف مفتقر إلى جهودكم .. خدمات الشباب الناهض !

محروس : لا أستطيع أن أترك أعمالى هنا ..

الشيخ أبو اليسر : ستكون لك أعمال كثار . . الإصلاح الاجتماعى مثلا . .

(للوليـــة)

كانت بديعة خطبتك فى الإصلاح الاجتماعى فى الريف . . ما أجملَ أن يطبَّقَ العلمُ على العمل .. المجالُ واسع أمامَ كلّ مخلص همام

(لولية ممتعضة حائرة)

ناصـــح : مسألة السفر تحتاج إلى بحث هادئ !

المعلم عويس : لا بد أن ينظرَ فضيلة الباشا : هل البيت مستعدّ أو غيرُ مستعدّ ؟ إنى أقصد رعايةَ راحتكم قبلَ كلّ شىء !

ناصـــح (لحواش افندى) : أفى البيت فلتر باستور ؟

(حواش افندى يقف متبلدا لا يجيب . .

ناصح يتابع قوله) : أعنى مرشحًا للمياه . . . مرشحا على الطراز الأوربى ؟

حواش افندى : لدينا الزير والقلّة . .

ناصـــح : حتماً أن تضعوا فلتر باستور . .

(للشيخ أبى اليسر)

أتعلم يا أبى أن التجاربَ العلمية أثبتت أن هذا المرشح وحده هو الذى لا تستطيع جرثومة التيفوئيد أن تَنْفُذَ منه ؟ ..

الشيخ أبو اليسر : نشترى واحدا ..

ناصـــح (لحواش افندى) : وعلى بُعْدِكم من الأمتار ضَغْطُ الماء . . ؟

حواش افندى (متسائلا فى حيرة) : ضغط الماء ؟ ! . .

ناصـــح : أريد أن أسأل عن خزّان المياه .. ما ارتفاعه عن سطح الأرض ؟

حواش افندى : الخزان ؟ .. لا خزان عندنا للمياه !

ناصـــح : لا خزانَ عندكم ؟ .. إنها حالة لا تطاق !

حواش افندى : لقد كنتَ يا سعادة البك هناك ، ولم تقلْ لى شيئا فى شأن الخزان و «الفرتك» . .

ناصـــح : إنى ذهبتُ قاصداً مراقبةَ أبراج الحمـــام ، وأخذت مائى محفوظا فى الزجاجات . .

حواش افندى : يا سعادة البك . . مُرْهمْ يطلقوا الماء للرزّ ، ثم لننظرْ بعد ذلك فى مسألة الخزان و «الفرتك» . .

الشيخ أبو اليسر (لحواش افندى): كيف لا يكون فى بيتى خزان للمياه، ولا مرشح على الطراز الأوربى؟ إنها فوضى.. لست أدرى وحالكم هذه ماذا تصنعون بالزراعة؟!

حواش افندى: أما من جهة الزراعة فليطمئنّ معالى الباشا إلى أن الأمورَ فيها على غاية ما يرام..

الشيخ أبو اليسر (مغمغما): صدقَ الشاعر:

ما حك جلدَك مثلُ ظفرِكْ
فتولَّ أنتَ جميعَ أمرِكْ

(يلتفت إلى حواش افندى)

لعل الفلاحين عندكم يحسبون الشيخ أبا اليسر هذا رجلا لا يعرف من الدنيا إلا سجّادةَ الصلاة وكتابَ الدلائل!

حواش افندى: العفوَ يا معالىَ الباشا..

الشيخ أبو اليسر: سأريكم كيف تقومون بعملكم على أدقّ وجه...

(يلتفت إلى ناصح)

أو يعجبك أن تكونَ الحالة هناك على هذا

النحو من الارتباك ؟ !

ناصـــح : الضيعةُ مفتقرةٌ إلى تجديد شامل . .

الشيخ أبو اليسر : ذلك ما كان فى بالى : تجديدٌ شامل . . اسمعْ يا ناصح . . . سأعوِّلُ عليك فى ذلك كلِّه . .

ناصـــح : إنى مستعد أتمَّ استعداد !

لوليـــة : ولكن السفر يا أبى . . .

الشيخ أبو اليسر (مقاطعا) : ماذا جرى يا لولية ؟ إننا نعمل ما فيه صلاحكم . . .

محـروس (للشيخ أبى اليسر) : تأذن لى يـا عمى فى الانصراف . . .

(فى هذا الوقت تسمع صفارة الانذار إيذانا بحدوث غارة . . . الجمع يفاجأون فيقفون لحظة مأخوذين . . يهيبُ بهم الشيخ أبو اليسر صائحا) :

الشيخ أبو اليسر : إلى المخبأ . . . إلى المخبأ جميعاً . . .

ناصـــح : أهذا وقتُ غاراتٍ يا ناس ؟

محـروس (بحمجما) : إنه شىء يعكِّر الصَّفْو !

لوليـــة : أيعكر الصفو لأنه سيضطرُّكَ إلى أن تبقَ

معى هُنَيْهَةً ؟ !

محروس : لستُ إلى ذلك أقصد يا لولية . . .

(يُقبِّلُ عليها ملاطفا)

الشيخ أبو اليسر : قلت لكم : إلى المخبأ !

حواش افندى : أهذا الصوت الذى سمعناه صوتُ صَفَّارة الإنذار ؟

المعلم عويس : لا خروج الآن ولا دخول . . المخبأ وحده ملجأ الجميع ! . .

حواش افندى : ما هذا الكلام ؟ والرز ؟ !

الشيخ أبو اليسر (صائحا من النافذة) : يا كتكوت ! يا كتكوت ! . . هات بعضَ الحَشِيَّات والمتَّكآت واذهبْ بها إلى المخبأ . .

ناصح (صائحا من النافذة) : ولا تنسَ حقيبةَ الإسعاف يا ولد . .

محروس (للولية) : لزامٌ عليَّ أن أسرِعَ الآنَ إلى مركزى باعتبارى من البوليس الخاص . .

لولية : وتتركنى وحدى ! . . كما تشاء . . انصرفْ عنى ! . . .

(يقبل عليها ثانياً ملاطفا ويتحدَّث معها فى اهتمام)

(حواش افندى يتجه فى سرعة نحو الباب الذى على اليمين وهو باب الخروج)

الشيخ أبو اليسر (لحواش افندى) : يا رجل . . المخبأ من هنا .

(مشيراً إلى الباب الذى على اليسار)

حواش افندى (صائحا) : أىّ مخبأ . . ؟ إنى ماضٍ إلى الوزارة ! . . .

(يخرج حواش افندى مهرولا)

الشيخ أبو اليسر (صائحا بحواش افندى): أى وزارة أيها المخبول؟

(يقف متحيِّراً وسطَ المكان ، وسرعان ما يتجه نحو النافذة ويصيح) :

يا كتكوت . . يا كتكوت . . لا تنسَ أن تأتىَ بالديوكِ إلى المخبأ . . :

﴿ ستارة الفصل الأول ﴾

الفصل الثانى

(ردهة فى منزل ريفى بضيعة الشيخ أبى اليسر . يدخلُ ناصح وخلفه كتكوت حاملاً صُندوقا غطاؤه زجاجىّ يحوى بمجموعة من الفرافير مثبتةً بالنِّصال ، قابضاً بيده على شبكة صيد الفرافير)

ناصح : ضع الصندُّوقَ ها هنا . .

(كتكوت يضع الصندوق على المائدة باحتراس . . ينظر فيه متظاهراً بالإعجاب . . ناصح يُشعل لِفافته)

كتكوت (متملِّقا سيدَه وهو ينظر فى الصندوق) : صِنف أحمر ، وصنف أخضر ، وصنف أصفر . . كألوان الرايات فى احتفال مولد النبىّ ! . .

(ينظر إلى سيده فى احترام مبتسماً) : هل يعلم سيدى ماذا حَسِبَ حواش افندى

ناظر الضيعة هذه الفرافير حين نظر إليها مرصوصةً فى الصندوق ؟ . .

ناصح (وهو ينفخ الدُّخان غيرَ معْنىٍّ بكلام كتكوت مفكِّراً فى شأن آخر) :
ماذا حسبها ؟

كتكوت (وهو يكتم ضحكه) : حسبها جوزية وحمصية وسمسمية وألماظية ! . .
(كتكوت ينفجر ضاحكا . . .
ناصح ينتبه)

ناصح (يلقى على كتكوت نظرةَ غضب) : ماذا جرى أيها الولد ؟ ماذا تظنُّ نفسك ؟
(كتكوت يتمالك ويقف فى خشوع بجوار صندوق الفرافير وهو ممسك عصا الشبكة . .
ناصح يحدجه بنظرة احتقار، ويسير فى الغرفة مدخنا وهو يفكر . .
بعد لحظة يقف أمام كتكوت)
أوَ تظلُّ ممسكا عصا الشبكة كالخفير ؟

كتكوت : سعادتك قلت لى ربما خرجنا ثانيةً لصيد

الفرافير . . .

ناصـــح : اليوم فرغنا من الصيد . ضع عصا الشبكة وولّني ظهرك !

(كتكوت يضع عصا الشبكة باحتراس بجوار صندوق الفرافير ويتهيأ للخروج . . . ناصح يستوقفه) اسمعْ يا ولد . .

(يقترب من كتكوت ويتكلم فى ألفة) أجاءت البنت مقطفة تحلبُ الجاموسة ؟

كتكوت : لقد حان وقت قدومها . . لعلها قدمت فى «الدوار» . . .

ناصـــح : اذهب فاطلب منها أن تحضُرَ إلىّ ومعها «مترد» لبن من حليب الآن . . أريد أن أعرف ماذا تصنع ؟ . . وهـــل هى تراعى النظافةَ فى عملها أو هى تهمل ؟ هيا . . عجّلْ !

كتكوت : سمعٌ وطاعة . . .

(يخرج كتكوت . . .

ناصح ينظر من النافذة المطلة على الطريق . . يدخل خروس)

محـــروس : ألا تعرف أين بندقيتى ؟

ناصـــح (وهو ناظر من النافذة) : انظر أين وضعتها ؟

محـــروس : وضعتُها على المِنْضَدة كما تعودتُ أن أفعل. إنه لشىء يستوجب الضِّيق !

ناصـــح : اسألْ والدك الشيخ ضرغام . .

محـــروس : أكلُّ شىء نعلقه بعُنُق أبى ؟

ناصـــح : وهل هذه أولُ مرة يخفى فيها أسلحتك عن عينيك .. لقد أخرجت أول أمس مسدسك من تحت سريره .. كان قد لففه بمُلاءة وأبقاه لتنصرف عنه العيون . . .

محـــروس : لقد أقسمَ لى ألا يقرَب أسلحتى بعد ذلك .

ناصـــح (ضاحكا) : لا حاجةَ إلى أن يقرَب هو بنفسه الأسلحة . . إن له شريكة تقوم مقامه فى هذه المهمة . . !

محـــروس : له شريكة ؟ ! . . تقصد لوليـــة ؟ . . لولية تتوخَّى ألا تضايقَنى !

ناصـــح (ينظر فى اهتمام إلى الطريق . . . محروس يشاركه النظر)

محـروس : آه . . لأجل هذا تلزمُ الشباكَ ولا تفارقه . أنصح لك يا ناصح أن تدعَ البنتَ مقطفة وشأنها . . !

ناصـح : تريد منى ألا أراقبَ منتجات الألبان ؟

محـروس : لقد كانت المرأة أم صالح تحلُب اللبن وتعمل الجبن على ما يرام . فلماذا طردتها ؟

ناصـح : إنها قذرة . . .

محـروس : اسمع يا ناصح . . الأقوال تتناثر حولَ مقطفة . . لعلك سمعتَ بالولد عـراقى ابنُ شيخ ضيعة الورديان . . يقولون إنه يحوم حولها . . وإن زوجهـا إبراهيم الغتيت يتربَّصُ له . .

ناصـح : أنا لا يهمُّنى عراقى ولا غتيت . .

محروس : نحن فى الريف يا عزيزى . . والأرواح هنا رخيصة لا يقامُ لها وزن !

ناصـح : اذهبْ فابحث عن بندقيتك . . ذلك أجدرُ بكَ . . !

محـروس : لا تظن أن إبراهيم الغتيت يشبه عبده الهوارى

ذلك الرجل المتباله الذى يتغافل عن أعمالك
فى بيته ! إبراهيم الغتيت رجل غيور له رأس
كرأس الحية . . وهو يبيع نفسه لا يبالى
شيئا ! . .

ناصح : قلت لك لا يهمنى غتيت ولا غير غتيت !

محروس : لم ننسَ بعدُ الحادث المروِّعَ الذى وقع فى
السعرانية . تلك البلدة القريبة منا . . أبو
حميدة وولده ذُبحا فى وضح النهار . . وأنت
تعلم لماذا ؟ ولأجل هذا جلب والدُك عشرة
خفراء من أهل الصعيد الأشداء وطلب من
المركز عساكر تلازمُ الضيعة . .

ناصح : قلت لك يا صاحبى أولى بك أن تنصرفَ
عنى لتبحثَ عن بندقيتك التى فقدتها . .

محروس : كما تهوَى ! . .

(يتهيأ للخروج . يلتفت إلية)
ألا تعرفُ أين أبى ؟

ناصح : لا بدَّ أن يكون فى الحديقة . . فى مكانه

المختار الذى لا يغادره . . . لعله ما برح نائماً على الحصير تحت عريش العنب . . وبجواره القلة معلقة !

محروس (وهو خارج) : متشكّر لك . .
(لا يكاد يخرج حتى تدخل مقطفة حاملة قعب اللبن ومعها كتكوت . .
مقطفة تضع القعب أمام ناصح . تنزع عنه غطاءه الشاشى)

مقطفة (وهى تريه القعب) : حلبتُ حتى الآن هذه الكمية وقد أعجلنى كتكوت واستدعانى إليك.

ناصح (متظاهراً بالاهتمام باللبن) : حليبك غايةٌ فى النظافة . .

كتكوت : لبن كالفلّ . .

ناصح (يرمقه شزرا) : اذهبْ إلى كنّ الأرانب وتولَّ عملك فيه . .

كتكوت : سمع وطاعة . .
(يخرج)

ناصـــح (وقد اقترب من مقطفة مبتسما مداعبا) :
هل تغسلين يديك بالصابون قبل الحلب كما طلبت منك ؟ . .

مقطفـة : ومقام النبي يا جنابَ البك ، أغسلُ يدى قبل كلِّ حلبة . .

ناصـــح (مبتسما مداعبا أيضا) : ألا تنسينَ مرة واحدة

مقطفـة (وقد غطت جانب وجهها بخمارها متدللة) :
كلاَّ ومقام النبيّ لا أنسى !

ناصـح : أرينى يديكِ !
(يمسك بيديها ملاطفا)
يدان تظيفتان حقّـا . . ولكنى ما زلتُ غير مصدِّق ! . .

مقطفـة (وهى تحاول جذبَ يديها) : ماذا أصنع لك لتصدقنى يا جناب البك ؟ !

ناصـــح : حدِّقى فىّ . . سأقرأ فى عينيكِ أصادقةٌ أنت أم كاذبة ؟ !
(يضغطُ يديها ملاطفا)

مقطفة (وهى تحاول جذب يديها دائما) : لا لا . .
يا جناب البك . . لا . .

ناصح (يرفع وجهها إليه) : جميلةٌ عينك يا مقطفة !
(يبسط يده حول خصرها)

مقطفة (تحاول تخليص نفسها منه) : اصنعْ معروفا
يا جناب البك . . اتركنى . . لا . .

ناصح : ماذا جرى يا بنت ؟

مقطفة : لو لمحنى زوجى وأنا على هذه الحال . .

ناصح : كيف يجىء زوجك هنا . . أيترك عمله فى
الجُرن ويقدَمُ ليبحث عنك أين تكونين؟

مقطفة : إنه يفاجئنى فى كل مكان . . بسم الله الرحمن
الرحيم ! !

ناصح (مستهزئا) : إنه يغار عليك . . يحبك !

مقطفة : ما أشقانى بهذا الحب !

ناصح : لقد كاد يهلك نفسه بثورته على الولد عراقى...
(مبتسما)
الولد عراقى . . .

مقطفة : عِراقى ؟!

(مبتسما مداعبا)

ألا تعرفينه حقّ المعرفة ؟!

مقطفة : وأنت أيضا يا جناب البك تقول مع القائلين : عراقى ؟ أتصدق وِشايات السوء ؟!

ناصح : من يدرى ؟...

مقطفة : مظلومةٌ أنا والله !.. لو كان زوجى ينكرُ علىّ شيئا لكان قد علقنى فى المشنقة !

ناصح : أية مشنقة ؟ قُطِعَتْ يدُه !

يحاول ضمّها إليه ..

(تُسمع أصوات من الخارج)

مقطفة : ناس قادمون يا جناب البك .. ناس قادمون!

(تتهيأ لحمل قعْب اللبن والانصراف به)

(يدخل بعد لحظة الشيخ ضرغام ومعه متولى رئيس الزراع)

الشيخ ضرغام (وهو داخل لمتولى) : إن أردت كلمةَ الحقّ فليس فيهم إلا الشيخ زريقة وأبو لبدة ..

متولى (للشيخ ضرغام) : إن لهما صيتاً بعيداً من

زمن طويل .. لا يخلو مأتم عظيم من صوتهما الرنّان !

ناصح : عن أيّ مأتم تتحدثان والعياذ بالله ؟!

الشيخ ضرغام (لناصح) : هيه .. أأنتَ هنا ؟ .. ماذا تصنع؟

ناصح (مشيراً الى قعب اللبن) : أراقبُ لكم اللبن . لا بد أن يكونَ طعامنا معقما مستكملا وسائل النظافة !

الشيخ ضرغام : كثّرَ الله خيرَك ! .. الحق أننا معوّلونَ فى هذا عليك ..

ناصح (لمقطفة) : اذهبى فاستكملى حلب الجاموسة .. سألحق بكِ بعد قليل لأنظرَ كيف تعملينَ الجبن !

(تخرج مقطفة . يقول ناصح للشيخ ضرغام): أين كنتَ يا فضيلة الأستاذ ؟ منذ الصباح لم نرك . . .

الشيخ ضرغام : كنتُ فى المسجد مع القرّاء . .

متولى : مولانا الشيخ كان يمتحن القراء المرشحينَ لإحياء حفلة الغد . . . حفلة افتتاح مسجد

الشيخ الأربعين . . .

الشيخ ضرغام : منذ الصباح وأنا أمتحنهم ، والحمد لله على أنى اخترت منهم اثنين على غاية ما يرام . .

متولى : ستكون حفلةً فاخرةً إن شاء الله . .

الشيخ ضرغام : وهل هذا كثير على مقام الشيخ الأربعين ، نوَّرَ اللهُ ضريحَه ؟ !

ناصح : الحق أننا أنفقنا على تجديد المسجد والضريح مبلغاً لا يُستهان به . .

متولى : كل ما أنفقتموه مكتوب عند الله . والله مخلِفه عليكم . . .

الشيخ ضرغام : هذا صحيح . . وفضلا عن ذلك فهو خدمة اجتماعية جليلة . ألا تعرف الحكمةَ المأثورة : من افتتح مسجداً فقد أغلق سجْنا ؟ . .

متولى : كلام كالشُّهد !

الشيخ ضرغام (ينظر فى ساعته) : المعلم عويس لم يحضر من القاهرةِ بعدُ . . .

متولى : لقد أرسلنا إليه الرَّكوبةَ منذ مَطْلَعِ النهار . .

ناصح : لا بد أن يكون القطارُ قد تأخَّر ..

الشيخ ضرغام : سننظر ماذا أحضر من الأشياء التى طلبناها لمسجد الشيخ الأربعين .

ناصح : إنه رجل نشيط . .

الشيخ ضرغام : لا بأسَ به .. بيد أنه ثرثار .. قل لى : ألم تر اليوم محروسا ؟

ناصح : إنه كان يبحثُ عنك . .

الشيخ ضرغام : بل أنا الذى أبحث عنه .. أريد أن أعرف هل تناول حبة «الكينين» اليومَ أو لا ؟

تاصح : لا بدَّ أن يكون قد تناولها . .

الشيخ ضرغام : واجبٌ أن نحسبَ حساب الملاريا . . . حواش افندى يزرع نصفَ الأرض رزا . والناموس لا يفتأ يمتصُّ دماءنا . .

متولى : ما شأنُ الحمَّى بنا وما شأن الكينا ؟ الحافظ هو الله يا مولانا الشيخ !

الشيخ ضرغام (فى غيظ . لمتولى) : نعلم هذا يا متولى . . . ولكن الاحتياطَ مطلوب !

ناصح : نسيتُ أن أخبرك أن محروسا متضايق اليوم أشدَّ التضايق ، لأجل بندقيته المفقودة . . (مبتسما)
يقول إنه لا يجدُها . .

الشيخ ضرغام : ولن يجدَها . . لقد ضاعتْ !

ناصح : ما أردتُ إلا أن أخبركَ بماشَهِدْت .. الآن تأذَنُ لى أن أنصرفَ لأنظرَ ماذا يعملون فى شأنِ الجبن ؟

الشيخ ضرغام : فى سلامةِ الله يا بُنَىَّ ! .

(يخرج ناصح)

الشيخ ضرغام (متمتما) : يبحثُ عن البندقية ؟ البندقية ! ... وما الحاجة إليها ؟ الخفراء مقيمونَ ليلَ نهارَ وعددهم كبير هنا وهنالك ...
(لمتولى بعدَ لحظة)
قل لى : ماذا صنعتم فى حادث السَّطْو الذى وقع فى الضيعة قبلَ أيام ؟

متولى : انتهى على خير ... حادث تافه ...

الشيخ ضرغام : كيف يكون تافهاً ؟ إن الرجال انقضَّ بعضُهم

على بعض بالعِصِيّ الغليظة كأنهم فى موقعة حربيّة ... والنساء لبِسْتُنَ يتصايحْنَ ... لقد أزعجْنا من نومنا على أصواتهن !

متولى : (يتضاحك) : لقد تم الصلح ... وعادت المياهُ إلى مجاريها ...

الشيخ ضرغام : والخفراء ؟ هل يقومون بواجبهم كما ينبغى ؟

متولى : يؤدون الواجب وفوق الواجب ... إنهم يُحيطون بالقصر ولا يبرحُونهُ أبدا .

(يدخل محروس ولولية ...)

محروس : (للولية) : لستُ طفلا حتى تُخفُوا عنّى بندقيتى ... تلك هى المرةُ الثانية التى تُخفون فيها البندقية ...

لولية : أنا لاشأنَ لى ببندقيتك !

الشيخ ضرغام : أيّة بندقية ؟

محروس : ألا تعرفُ يا أبى أية بندقية ؟ بندقيتى المختفية !.

الشيخ ضرغام : تقصدأنها ضاعت ... لا ردّها الله .. فلتنظر فيما هو أهمُّ ! .. هل تناولت حبة «الكينين» ؟

محروس : أمُصِرٌّ أنتَ على ألا تعطيَنِي البندقية ؟

الشيخ ضرغام : وهل هى عندى يامحروس ؟

محروس (للولية) : إذن هى عندكِ أنتِ ...

لولية : دائما تظلِمُنى فى هذه الأشياء ...

الشيخ ضرغام (لمحروس) : أسألُكَ هل تناولتَ حبَّةَ « الكينين » ؟

محروس (ثائراً) : لم أتناولْ شيئاً ...

(لولية تُسِرُّ إلى الشيخ ضرغام على حِدَةٍ بضعَ كلمات ، فيتهلَّل)

الشيخ ضرغام (للولية على حدة) : كثر الله خيرَكِ يابُنَيَّتى .. لاتنسَىْ كلَّ يوم أن تناوليه حبة « الكينين » .. إذا تناوَلها على الرِّيقِ كان تأثيرُها أنجَعَ .

محروس (وقد سمع نُتَفاً من حديثهما) : لقد صرت طفلا بين أيديكما .. لن أبقى فى هذا البلد بعد الآن .. لأسافِرنَّ ...

الشيخ ضرغام (مقبلا عليه) : لاتغضب ...

(يخرج من جيبه جريدة الأهرام ويناوله إياها مشيراً إلى خبر فيها) : ألم تقرأ هذا الخبر ؟

(محروس يلقى نظرة على الموضع المشار إليه من الجريدة)

محروس : أعرفه ...

لوليـــة : أى خبر !

الشيخ ضرغام : خبر التلميذ الذى كان يعبثُ ببندقية أبيه ، فانطلقتْ منها طلقةٌ أودتْ به .. حماكما الله من السوء !

متولى : هذا التلميذ المسكين هو ابن الشيخ جادالرب عمدة كفر البقر المجاور لنا .. الحقّ يا مولانا الشيخ أن القدرَ لامفرَّ منه !

الشيخ ضرغام (صائحا بمتولى) : أأنكرنا من ذلك شيئاً؟ بالله من جهلكم هذا ! لقد ضقتُ ذرْعا بما أسمع هنا ...

(يدخل كتكوت)

كتكوت (للشيخ ضرغام) : مفتش الصحة يا مولانا الشيخ قدِمَ فى الخارج يطلب لقاءك ..

الشيخ ضرغام : لقائى أنا ؟ لماذا ؟

كتكوت : سعادة الشيخ أبى اليسر لم يرجعْ من البندر بعد ... وقد طلبتُ من ناصح بك أن يقابلَ المفتش ، فبعثنى إليك لتقابله أنت ...

الشيخ ضرغام : وأين هو مفتش الصحة ؟

كتكوت : فى المِنْظَرة ..

الشيخ ضرغام : ألدَىّ وقت لأقابل هذا المفتش ؟

(يتهيأ للخروج ، يُحْجِمُ مفكراً) : تُرى ماذا يريد ؟

(يلتفت إلى متولى ويقول له :) أيكونُ قد أتى من أجل مراحيضِ المسجد ؟

متولى : وما لمراحيض المسجـــد ؟ أفى البندر نفسه مايماثلُها ؟ إن نظافتها لتُغْرى بالنوم فيها !

الشيخ ضرغام (وهو خارج مع متولى) : ألا تعرفُ لمَ تأخَّرَ الشيخ أبو اليسر ؟ لقد طال غيابه !!. (ينظر فى ساعته)

لقدوجبَ العصرُ ولما يحضُر بعدُ .. أتستنفد صفقةُ السَّماد كلَّ هذا الوقت ؟

(يخرجان وخلفهما كتكوت
لولية ومحروس صامتان ...
محروس فى هَمٍّ وضيق ...
لولية ترغَب فى استرضائه ... تنظر إليه
خُلسَة ... تقترب منه ...)

لوليـــة (فى لهجة ليِّنَة) : أما زلتَ عابساً ؟

محروس : عابس أو غير عابس .. أمهتمة بى أنتِ ؟

لوليـــة : أنا غيرُ مهتمة بك ؟

محروس : لو كنتِ مهتمةً بى لما اتفقتِ مع أبى على إخفاء البندقية عنى ...

لوليـــة : فقدتُ شبابى إن كنتُ ..

محـــروس (مقاطعاً) : قلت لك لا تستعملى هذا التعبير المشئوم !

لوليـــة : وماذا أصنع وأنت لا تصدقنى ؟ .

محروس : إنى مصدِّقُك ... ولكن أنتِ تعلمينَ حبى للصيد ، ففيه تسليةٌ لى هنا ...

لوليـــة : أمن أجلِ الصيد قدمتَ هنا أم من أجلى أنا ؟

محروس : لا شكَّ أنى قدمتُ من أجلكِ . ولكن ألا نبحثُ عما يسلّينا فى الريف .. إنك تعرفين ماذا نرى حولنا !

لوليـــة (غاضبة معاتبة) : قل صريحا إنك ضقتَ بى وتتخذُ البندقيةَ ذريعة تخفى بها غرضك ! .. أمس سمعتُ منك تلميحا إلى ذلك حين ذكرتَ لى أن إجازتك قاربت الانتهاء . . . إذا شئت السفر فافعلْ . . لا أحدَ يعوقكَ !

محروس : لقد كانت النية أن أمضى هنا أسبوعا واحدا. وهأنذا أمضيت قريباً من شهر !

لوليـــة : إن شهراً تمضيه إلى جانبى لا بدَّ أن يكون فى نظرك وقتاً طويلا جدّا . . لقد أغلظتَ على نفسك ، وبذلت جهداً عظيما ! ! . .

محروس : ما هذا الكلام يالولية ؟

لوليـــة : هذا هو الحقّ . .

محروس : والله لولا وجودكِ لما صبَرتُ على البقاء يوما واحدا . . إنه عيش لا يطاق !

لوليـــة : وماذا يضايقك ؟ ألستَ تخرج معى إلى

الحقول نتنزّه ونصطادُ السمك ونقتنصُ الفرافير ونركبُ النَّوْرج ..

محروس : ليتهم يتركوننا نخرجُ وحدَنا .. إنهم يبعثون وراءنا الخفراءَ ويصادروننا فى كلِّ طريق .. أوامرُ أبيك وأبى .. ماذا نصنع ؟

لولية : غداً تُعَدُّ أرضُ «التنس» .. إنهم يمهّدون الأرضَ باهتمام .. ستكون تسلية جميلة .. ولكن أين هذا من ناديكَ فى القاهرة ؟

محروس : دَعينا من هذا يا لولية ..

لولية (معاتبة) : كيف لا تتضايقُ ووجهى فى وجهكَ دائما ؟ .. لكَ حقّ !

محروس (مسترضيا) : ما هذا الكلامُ يا لولية ؟ (يقبل عليها)
إننى شيِّق إلى شىء واحد... أن أعلمكِ الصيد بالبندقية !

لولية (متباعدة متدلّلة) : لا أريدُ أن أتعلم !

محروس : الصيدُ أحسن تسلية .. اعملى بنصيحتى وتعالى أعلمك الصيد ...

لوليـــة : (وقد بدأت تلين ، تقول فى تخابث) :
ولكن البندقة ضائعة

محروس : نبحث عنها .. تعالى . نبحثْ عنها معا ..
تعالىْ .. تعالىْ ..
(يمسك بيديها ويهُمُّ بالخروج ..
يدخل الشيخ ضرغام ومتولى ..
الشيخ ضرغام يهرول نحو محروس ويشَمُّ
رأسه ، ثم يشَمُّ رأس لولية)

الشيخ ضرغام : ما هذا ؟ أشَم من رأسيكما عِطراً طيباً !

لوليـــة : وماذا تنتظر أن تشَم من رأسينا ؟

الشيخ ضرغام (موجها الكلام إلى محـروس) : ألم أرغبْ
إليكما أن تغسلا رأسيكما «بالكيروسين» ؟!
«بالكيروسين» .. لا شىءَ يفتكُ بالقمل
«كالكيروسين» !

لوليـــة : قَمْل ؟ قمل ؟ هيهاتَ !

الشيخ ضرغام : المسألة أكبرُ من أن نقولَ فيها هيهاتَ ! ..
كلنا نعرف أن القمل ينقل جراثيم (التيفوس)

كذلك يقول الطبيب ، ومن واجبنا أن نؤمنَ بقوله ونعمل به . . .

لوليـــة : وأين نحن من «التيفوس» ؟

الشيخ ضرغام (صائحا مؤكدا) : تفتيش الصحة ضربَ الحصارَ على بلدة كفر البقر . . . تفشَّت الحمَّى هناك . . وكفر البقر على القربة منا ؟

متـــولى (للشيخ ضرغام) : أصدَّقتَ مفتش الصحة يا مولانا الشيخ ؟

الشيخ ضرغام : قلت لك ضربوا الحصار على كفر البقر . . كيف لا أصدق ؟

متـــولى . إنهم يضربون الحصار على البلاد . . هـــو ارتزاق ، وإن كان الرزق على الله ! . .

الشيخ ضرغام : اعلمْ يا رجل أن عَشْرَ إصابات فى كفر البقر نتج عنها وَفيات . .

لوليـــة : عشْر إصابات ؟ . . هذا كثير !

الشيخ ضرغام : ذلك الذى قدرته قبل وقوعه من زمن . . . كان قلبى يشعر وقلبُ المؤمن دليله . . من أجل هذا أمرتكم أن تغسلوا رؤسكم

«بالكيروسين» !

(ينادى من النافذة)

يا كتكوت ! . . يا كتكوت ! . .

كتكوت (من الخارج) : حاضر . .

الشيخ ضرغام (من النافذة) : أحضرْ صفيحة «كيروسين» وزجاجة حامض «الفنيك» وانتظرنى فى «الدَّوار» . .

(يلتفتُ إلى لولية ومحروس)

لابدَّ أن تُغسَلَ الأسِرَّةُ بحامض «الفنيك» ... والحشايا لابد أن تُتركَ فى الشمس طول النهار .. تلك أوامرُ الصحة ..

(كأنه يناجى نفسه)

وهل سننجو من المصائب فى هذه السنة السوداء ؟ منذ قدِمنا ونحن ندفعُ عنا غوائل «الملاريا» و«التيفوئيد» و«التيفوس» ... وفوقَ ذلك أمامنا الجهلُ المركَّب فى أدمغة أصحابنا هؤلاء !

(مشيراً إلى متولى)

والله إننا لأبطال ...

(يوجه الكلام إلى متولى)

اسمع ياحضرة .. عليكَ أنتَ أن تأمر سكان الضيعة جميعاً أن يغسلوا رءوسهم «بالبترول».

متولى : (بالبترول) نفسه ؟ (البترول) مرتفع السِّعْرِ هذه الأيام !

الشيخ ضرغام : سنوزع على كل بيت زجاجتين ...

متولى : ولمَ كلُّ هذه التكاليف يافضيلة الشيخ ؟

الشيخ ضرغام : مالك ولهذا يارجل ... أتدفع من مالك شيئا !

(لولية ومحروس ينصرفان)

متولى : كما تريد يافضيلة الشيخ ...

الشيخ ضرغام : لاتنسَوا الفِرَاش .. حَتْمٌ أن تُخْرجوه كلَّ يوم .. كلَّ يوم ... أفاهمٌ أنتَ ؟

متولى : سمعٌ وطاعة يا فضيلة الشيخ .. أمرك نافذ . ولكن اطمئن .. ضيعتنا لا تُنالُ بسوء ، بركة الشيخ الأربعين تردُّ الشرَّ عنها دائما !

الشيخ ضرغام : مفهوم ! .. مفهوم !

متولى : للشيخ الأربعين سرٌّ بارع ..

الشيخ ضرغام : وها قد جددنا له مسجده وضريحه، وأوصينا له فى القاهرة بكسوة عظيمة وبيرقين مطرزين بالفضة !

متولى : والقراء المشهورون سيجلجلون بأصواتهم غدا ... أبعدَ هذا تشغلُنا مسألةُ الحمَّى وتفتيش الصحة ؟ أتستطيع الحمَّى أن تمسَّ هذه الأرضَ الطاهرة ؟

الشيخ ضرغام : هذا صحيح ... ولكن إياك أن تهملَ فى تشميس الفِراشِ كما قلتُ لك !

متولى : سمع وطاعة ...

الشيخ ضرغام (ينظر فى ساعته قلقاً) : أزفت المغرب ، ولما يَحْضُر الشيخ أبو اليسر ... أكانت ضروريةً مسألةُ السَّمادِ اليومَ ؟

(يدخل كتكوت فى عجلة وضجة) .

كتكوت : مولانا الشيخ مولانا الشيخ !

الشيخ ضرغام (فزعاً) : أرَجَعَ مفتش الصحة يا ولد ؟

كتكوت : لا ... لا يامولانا الشيخ ... المعلم عويس قَدِمَ من القاهرة ومعه البيرقان وكُسْوَةُ الضريح

متـــولى : اللهم زدْ وبارك . . . ستكون حفلةً عظيمة إن شاء الله . . .

(يدخل المعلم عويس مُشرِقا)

المعلم عويس (يقبِّلُ يدَ الشيخ ضرغام محييا) : أهلا بمولانا . . . كيف حال فضيلتك ؟

الشيخ ضرغام : الحمد لله ! وكيف حالكَ أنت ؟

المعلم عويس : على ما يرام . . . كلُّ شيء مُرْضٍ بأنفاسكم ! (محدِّقا فيه)

ما شاء الله كان . . . حماك اللهُ من العين . . .

يظهر أن جوَّ الريف وافقَ فضيلتك . . . !

الشيخ ضرغام : الجو حسن ، وكل شيء موافق ، والحمد لله ... ولكن العملَ كثير ياعويس !

المعلم عويس : كان اللهُ فى العون يا مولانا . . .

متـــولى : منذ أسبوع ونحن مشغولون بإعداد ما يلزم للاحتفال بافتتاح المسجد . . . مولانا الشيخ لا يفتُرُ أبدا ! . . .

المعلم عويس : أنتم على حقّ . . . المسجدُ جدير بكل هذه العناية . . . إن له مئذنةً تطاولُ النجوم !

كتكوت : أرنا البيرقين . . . أين هما ؟

المعلم عويس : تركتهما عند خفير « الدوار » . . حلفت ألا أخرجهما إلا بحضور فضيلة الباشا... يقولون إنه عائد من البندر بعدَ قليل . . .

الشيخ ضرغام : إياك أن تكونَ قد نسيت تطريز البيرقين بالقَصَب وتعليقَ الشَّرَّابَتَيْن بهما !

المعلم عويس : كيف أنسَى ؟ والله إن هذين البيرقين لا تجدُ لهما مثيلاً فى أىّ مكان حتى فى مسجدِ الحسين!

الشيخ ضرغام : قل لى كيف الحالُ فى القاهرة ؟

المعلم عويس : كلّ شىء حَسَن . . .

الشيخ ضرغام : والغارات ؟ القمر فى يومه الرابعَ عَشَرَ يا سيد عويس !

المعلم عويس (غيرَ مبال) : أية غارات يا مولانا ؟ وحياتك لا أحِسُّ شيئا منها . . . إنى أضع المِخَدَّةَ فوقَ رأسى وأستسلم للنوم العميق !

الشيخ ضرغام : إلى أن تنقضَّ عليك القنبلةُ تفتِكُ بك !

المعلم عويس : لا تنقضُّ بمشيئة الرحمن . . .

الشيخ ضرغام : أتعلم يا سيد عويس أين أنام ؟

المعلم عويس : أين يا مولانا ؟

الشيخ ضرغام : على السَّطْح ... فى ضوء القمر ... فى الهواء المسْكِر ...

المعلم عويس : وهل يماثلكم أحد ؟ وماذا تصنعون فى شأن الناموس ؟ لابدَّ أنَّه مزعجكم ... إنه يمتصُّ الدماء وينهشُ الأجساد !

الشيخ ضرغام : ماهذا الكلامُ الفارغ ياعويس ؟ نحن نحتاطُ لهذا الأمر كلَّ احتياط ...

المعلم عويس : على أية حال نحمد الله على أن بالكم مرتاح ..!

متولى : مرتاح أحسنَ ارتياح ...

المعلم عويس : ولعل الضيعةَ بإذن الله سليمةٌ من حمَّى (التيفوس) .. يقولون ...

الشيخ ضرغام (مقاطعا فى فزَع ولهْفة) : هل سمعت شيئا؟!

المعلم عويس : أثناءَ مرورى بكفر البقر سمعتُ أن تفتيشَ الصحة ضَرَبَ على القرية الحصارَ ...

الشيخ ضرغام (متظاهراً بعدَم الاهتمام) : نعرفُ ذلك ! ولكن أين نحن من كفر البقر؟ ومع ذلك اتخذنا جميعَ الاحتياطاتِ الواجبةِ لهذه الحالة..

(يلتفت إلى كتكوت)

أأحضرتَ « البترول » وحامض « الفنيك » ؟

كتكوت : فى « الدّوّار » ياموﻻنا الشيخ ..

المعلم عويس : ألا ننزل نَتَنزّه فى الحديقة ؟ أونذهب إلى الجرن نركب النورج بعضَ الوقت ؟ .

الشيخ ضرغام : أىّ نورج ياعويس ؟ ألدينا وقتٌ لمثل هذا؟ اسمع ...

(فى لهفة وجزع) .

هل دخلتَ كفر البقر؟

المعلم عويس : كلا ياموﻻنا ... لا أحدَ يستطيع الدخولَ فيها ...

الشيخ ضرغام : إذن الحالةُ خطيرةٌ هناك !

المعلم عويس : خطيرة أو غيرُ خطيرة ... ماشأننا بها ؟ ألستَ تقول إنكم اتخذتم جميعَ الاحتياطات؟

الشيخ ضرغام : اتخذنا احتياطاتٍ عظيمة ...

(ينظرُ إلى كتكوت)

اسْبِقْنى إلى « الدّوّار » ..

(لمتولى) .

تعال نوزّع « البترول » ...

(يُسمع هرْج ومرج فى الخارج) ماهذا ؟

كنكوت (ينظر من الباب) : سيدى الباشا حضَر . . .

الشيخ ضرغام : الشيخ أبو اليسر؟ . . .

(تقترب الضجّة . .

الشيخ ضرغام والمعلم عويس ومتولى وكنكوت يقتربون من الباب مستقبلين الشيخ أباالليسر . . .

بعد قليل يدخل ومعه حواش افندى ناظر الضيعة وخلفهما فلاح يحمل خُرْجا كبيراً. يشير إليه الشيخ أبو اليسر ليضعَ الخرْجَ فى مكان خاصّ . . . يخرُجُ الفلاح)

الشيخ أبو اليسر (محتدّا، لحواش افندى) : ماهذا؟ إنك رجل لاذوقَ عنده ... كلّ لحظة أسمع منك السماد ، السماد !

(يحيى الشيخَ ضرغاما)

مَساءَ الخير ياشيخ ضرغام . . .

الشيخ ضرغام : مساءَ الخير ياشيخ أبا اليسر . . .

الشيخ أبو اليسر (وقد وقع بصره على المعلم عويس) :

أوَ جئتَ ؟ حمداً لله على السلامة . . .

(يمد إليه يده فينحنى المعلم عويس يقبلها في احترام كبير)

المعلم عويس : سلم الله فضيلةَ الباشا ومتّعه بالصحة والعافية !

(حواش افندى يلمحُ متولى ، يقطب)

حواش افندى (لمتولى جانباً) : ماذا جاء بك هنا ؟ أتتركُ سُقْيا الرّزّ للفلاحين ؟

متولى : جئتُ هنا . . . (متلجلجاً) جئت لأتكلمَ فى مسألةِ المسجد . . .

حواش افندى : المسجد ؟ اذهب فانظر عملك فى سُقْيا الرزّ . . . سأريكَ . . .

(يخرج متولى)

الشيخ أبو اليسر (للمعلم عويس) : ماهى الأخبارُ عندَكم ياعويس ؟

المعلم عويس : كلُّ شىء طيب يافضيلة الباشا . . .

الشيخ أبو اليسر (هازئاً) : طيب جداً ! . . .

المعلم عويس : إنهم يعملون فى تأليف لجنة الدفاع عن المدنيين برياسة المحافظ . . .

الشيخ ضرغام (فى غير اهتمام) : لجنةٌ لا بأسَ بها . . . مفيدة .

المعلم عويس : إنهم مصممون على انتخاب فضيلة الباشا عُضْوًا فيها . . .

الشيخ أبو اليسر : إنهم يُصَدِّعون رأسى كلَّ يوم برسائلَ وطلبات ، ولكن ليس عندى وقت لكل هذا . . . هل أمزّق نفسى ؟ لمن أتركُ أعمال الضيعة ؟ !

الشيخ ضرغام : أعمال الضيعة أولى بوقتك . . .

الشيخ أبو اليسر : هذا حق . . .

(يلتفت إلى المعلم عويس)

هل أحضرتَ الأشياء ؟

المعلم عويس : هل تأمرنى فضيلتُك بشىء فأقصرَ فيه . كلّ ماطلبته أنفذتُه على الوجه الأكمل . . ، أتأذنُ فى أن أحضرَ الأشياء ؟ !

الشيخ أبو اليسر : اذهبْ فأحضرْها لنرى كيف صنعتَ بالبيرقين . . . إياك أن تكونَ قد نسيتَ حواشيهما المطـــــرَّزة بالقَصَب والشَّرَّابَتَـــين . . .

المعلم عويس : كلُّ شيء معدٌّ على مايرام ...

(يخرج مهرولا ومعه كتكوت)

الشيخ ضرغام (للشيخ أبي اليسر) : لعلك قد أنهيت مسألة السَّماد ...

الشيخ أبو اليسر : هل أستطيعُ أن أنهيَ شيئاً وحضرة الأفندى هذا معى ؟

(مشيراً إلى حواش افندى)

حواش افندى : وما ذنبى أنا . ؟!

الشيخ أبو اليسر : دائماً تعكّر صَفْوى !

(للشيخ ضرغام)

أيجوز أن تَقْصِدَ البندر دون نزورَ سعادة البك المأمور ؟ ...ذلك الرجل العامل النشيط الذى تفضّل وأذِن لنا بطائفة من العسكر يحرُسونَ الضيعة ويضْبِطُون الأمن فيها... إن جميلَه لا يُنْسى ...

الشيخ ضرغام : هذا حق ... واجب عليك ألا تهمل زيارته ...

الشيخ أبو اليسر : صاحبنا هذا . .

(يشير إلى حواش افندى)

يحتم علينا أن نذهب توآ إلى مخازن السماد..!
إذا تأخرنا عن السماد قليلا فماذا يحدث ؟
أتنطبق السماء على الأرض ؟.. هل تعرف
كيف استقبلني سعادة البك المأمور حينما
زرته ؟

الشيخ ضرغام : كيف؟

الشيخ أبو اليسر : نظم لى استقبالا حافلا ..

الشيخ ضرغام : إنه مأمور يعرف مقامات الناس ويحسن
تقدير الرجال ...

الشيخ أبو اليسر : وحين جاء وقت الغداء أبى أن يتركنا وأقسم
بأغلظ الأيمان أن نتغذى معه ... أكان يليق
بنا أن نرفض دعوته ؟

الشيخ ضرغام : لو فعلت هذا لكان منا قلة ذوق .

الشيخ أبو اليسر : كذلك كان رأيى .. وسرعان ما قبلت
دعوته شاكراً .. لقد كانت مأدبة فاخرة
اشترك معنا على مائدتها صفوة أعيان البلد
وعمده .. ياله من حمل ذلك الذى قدم
لنا .. كان لحمه كالمن !

(يقول ذلك متلمظا

(المعلم عويس يأتى وخلفه كتكوت حاملا الأشياء ...

المعلم عويس يبسط البيرقين بعناية وهو مزهوٌّ فخور)

المعلم عويس : أترَوْنَ ؟ أترَوْنَ الصنعة ؟ والله ما رافق المحْمِلَ بيرقان كهذين !!

(الجمع يُقبِلونَ على البيرقين يتفحصونهما)

انظر ياسعادة البـاشا إلى الآيات القرآنية المكتوبة بالخط الهمايونى البديع ؟ لم يسبقنا إلى ذلك أحد !..

(يريهم عِمامة بالغةَ الضخامة)

حواش افندى : وما هذه ؟

المعلم عويس : هى عمامة الشيخ الأربعين التى نُتَوِّج بها الضريح ...

الشيخ أبو اليسر (متأملا) : الحق أنها عمامة فخمة ..

حواش افندى : وهل كان رأس الشيخ ضخما هكذا ؟.

المعلم عويس : أليس هو وليّاً من أولياء الله الكرام ؟ !..

الشيخ ابو اليسر : إن اسمه وارد فى تاريخ الجبرتى .. ماذا صنعتم فى شأن حفلة الغد ؟

الشيخ ضرغام : أعددنا كلَّ ما يجب . . الطباخ منهمكٌ فى العمل من الآن . .

الشيخ أبو اليسر : لقد دعوتُ أعيانَ البندر جميعاً . . . وعلى رأسهم سعادة البك المأمور ... رجلٌ يقوّم بوزنه ذهباً ...

(يلتفت إلى كتكوت)

إذهب فانظر طائفة العسكر المكلفين حراسةَ الضيعة . . هل حضروا ؟

كتكوت : سمع وطاعة .

(يخرج)

الشيخ أبو اليسر : كونوا مطمئنين ... الأمن فى الضيعة سيكون على خير ما نريد .. لاسطو ولاشجار ولاشىء يزعج البال !

حواش افندى (للشيخ أبى اليسر) : وحَرْثُ الأرض ؟ متى نبدأ فيه ياسعادة الباشا ؟

الشيخ أبو اليسر : أهكذا تقطع علينا الحديث كَدَأبِكَ !.

حواش افندى : مضى علينا ثلاثة أيام ونحن فى انتظار تشريفك الحقل لإصدار أمرك يا سعادة الباشا ...

الشيخ أبو اليسر : وماذا أصنع لك ؟ ألسنا مشغولين بمسألة المسجد ؟

الشيخ ضرغام : هذا بيت الله .. العناية به فوق كلّ شىء !

الشيخ أبو اليسر (لحواش افندى) : وهل نسيت أنى ذهبت لتشييع جنازة عمدة البلقاسية ؟ وحضرت ختان ابن أبى المكارم بك جارنا ؟ .. أأمزق نفسى يارجل ؟ !

المعلم عويس : كان الله فى عونك يافضيلة الباشا ...

الشيخ أبو اليسر : إنى قدمت هنا يا عويس فألفيت البيت لايسكن ... تعال الآن وتفرّج .. أصبح كالعروس : نظافة . أناقة . ترتيب . أما من الوجهة الصحية ..

الشيخ ضرغام (مقاطعاً) : لم يهمل الشيخ أبو اليسر فى شىء ..

الشيخ أبو اليسر : وضعنا (فرتل) .. مرشّح ماء ياعويس ...

ووضعنا على النوافذ شباكا تحمينا من الناموس، وجئنا بثلاجة (فرجدير) تدور بالبترول لتبريد المياه وعمل المثلجات . . . واشترينا موقد طبخ جديدا . .

المعلم عويس : همتك يا فضيلة الباشا عالية دائما . .

الشيخ ضرغام (للشيخ أبى اليسر) : نسيت أن تخبره بالفرن الصحى الخاص بالملابس . . .

المعلم عويس : فرن للملابس ؟

الشيخ أبو اليسر : نعم المبخرة التى اسمها (أوتكلاف) اشتراها ناصح ولدى لتبخير الملابس فتخرج منها نظيفة نقية . . .

الشيخ ضرغام (متمتما) : خالية من كلّ جرثومة !

المعلم عويس : وعلم الإنسان ما لم يعلم . . .

الشيخ أبو اليسر (ملتفتاً إلى حواش افندى) : كلّ هذا من أجل تمدينكم . . نريكم نموذجا تحتذونه !

حواش افندى (مغمغما بلا اقتناع) : أطال الله عمرك . .

الشيخ أبو اليسر : غداً حين يحسنُ الفلاحون استعمال (الأوتكلاف) تقلّ بينهم الوَفيات . . .

حواش افندى (مغمغما) : هل يستطيع امرؤ أن يزيد فى أجله يوماً ؟

الشيخ أبو اليسر : (مجتداً) : أين نحن مما تقول ؟ ألا يستنير عقلك يا رجل ؟ !

(تدخل لولية مسرعة ومعها محروس)

لولية (مقبلة بشغف على أبيها) : أبى ؟ أبى ؟ هل جئت لى بحذاء (التنس) الذى طلبته منك ؟

الشيخ أبى اليسر (يقبّلها وتقبّله) : وجئت لك بالكرات أيضاً . . !

(يلتفت إلى محروس)

أهلا بمحروس ...

محروس : حمداً لله على السلامة ياعمى !

(يحييه فى مودة واحترام)

لولية (مبتهجة متهللة) : أرنى .. أرنى . .

(الشيخ أبو اليسر يقصد إلى الخرج ويخرج منه الحذاء والكرات . . . تأخذها لولية منه مغتبطة . . . تسرع إلى لبس الحذاء)

المعلم عويس : أأنشأتم هنا ملعباً للتنس . ؟

الشيخ أبو اليسر : طبعاً ياعويس . .

(مخاطباً الحاضرين)

والله لن أترك هذا البلد حتى يصبح جنة !

سيكون قرية نموذجية بالمعنى الكامل .

(مخاطباً حواش افندى)

جئنا هنا نرقيكم ونمدنكم !

لولية : حذاء جميل . . . أحسنت يا أبى . . .

(تقبل والدها . . .

تلتفت إلى محروس . . .)

انظر يا محروس . . . انظر . . .

محروس (للولية) : مبارك ! مبارك !

(للشيخ أبى اليسر)

الحق أنى كنت أظن أنك لن تجد مثل هذه الأشياء فى البندر . . .

الشيخ أبو اليسر : كيف ؟ فى البندر كل شىء . . . كأنك فى القاهرة . . . انظروا ماذا وجدت لكم . . .

(يقصد إلى الخرج والجمع خلفه . . .

يبدأ يخرج الأشياء ويريهم إياها)

« بقسماط » فاخر كأنه « البسكويت » !

حواش افندى : «بقسماط» ؟! . . . ولماذا ؟ الخبز موجود . . .

الشيخ أبو اليسر : أىّ خبز يارجل ؟ إنها ذخيرة منزليّة جئتُ بها لتنفعَنا وقتَ الحاجة . . .

المعلم عويس : فضيلة الباشا يَحْسبُ حسابَ البعيد . . .

الشيخ أبو اليسر : وماذا نصنع ياعويس ؟ إنى مسئول عن الجميع هنا . . . ربما حدثتْ لا قدّرَ اللهُ مجاعة أو . . .

الشيخ ضرغام : رأى صائب !

لوليـــة : ولم كلّ عُلب « الخشاف » هذه ؟

الشيخ أبو اليسر : ليست كلُّها عُلبَ « خشاف » . . . إن من بينها علبَ أطعمةٍ محفوظة . . .

(كتكوت يدخل)

كتكوت : العسكر الحرّاس لم يحضُروا بعد يا سعادة الأستاذ . . .

الشيخ أبو اليسر : عجيب ! . . . حينما يَقْدَمونَ تخبرنى على الفور . . .

(يتهيّأ كتكوت للخروج فيسأله الشيخ أبو اليسر) :

أين سيدُك ناصح بك ؟

كتكوت : يشهد حلبَ الجاموسة وعملَ الجبن والزبد...

الشيخ أبو اليسر : قل له يَحْضر ليرى الأشياءَ التى جلبتها معى...

كتكوت : سمعٌ وطاعة...

(يخرج كتكوت)

الشيخ أبو اليسر (وقد بدأ يخرج طائفة من الأقفال والترابيس) : أريد أن أرى ناصحا هذه الأقفالَ والترابيس لأنظرَ ماذا يقول فيها ؟ إنها أدوات مضمونة من صنْع أوربا... سأضعها فى الأبواب من الغد... إن الجنّ الأزرقَ لن يستطيعَ أن ينالَ منها !

المعلم عويس : وعلب الأطعمة يا فضيلة الباشا ؟

(الشيخ أبو اليسر يعرض علبَ الأطعمة على الحاضرين)

الشيخ أبو اليسر : لحم بقرى (بالصلصة)... (فاصوليا) بالزيت... (فراولة) طازجة... (مكرونة) باللحم المفروم...

لوليـــة : مكرونة أيضا ؟

(تتناول العلبة وتقول) : أرنى ... أرنى ...

محروس : يقولون إنهم يحفظونَ الفول المدمَّسَ فى العلَب ...

الشيخ أبو اليسر (يريه علبَةَ ويقول) : هذا هو الفول المدمَّس ...

الشيخ ضرغام : فول مدمَّس فى العلب ... يا للعَجَب !

المعلم عويس : ويخلق ما لا تعلمون ...

حواش افندى : يا معالىَ الباشا ... الفول مكوَّم فى المخازن !

الشيخ أبو اليسر : قلت لك يا رجل إنهـا ذخيرةٌ لوقت الضرورة ! ... أفهموه ياناس ... لقد حِرْت فى أمره !

لوليـة : اليومَ يا أبى نفتح علبَةَ فول مدمس ...

الشيخ أبو اليسر : لا مانع !

المعلم عويس : أذيقونا اليومَ أيضا هذه المكرونةَ التى باللحم المفروم ...

الشيخ أبو اليسر : ستذوقها ... لا يغلو عليك شىءٌ يا سيد عويس !

المعلم عويس : أبقاك الله وحرسك يا فضيلة الباشا وزادك من نعيم الله !

محروس (للشيخ أبي اليسر) : رأيي ياعمي ألا نطيلَ إقامتنا . . أجد الحالة هنا ليست كما نشتهي .

الشيخ ضرغام : تريدُنا على أن نرجعَ إلى القاهرة ياسيد محروس ؟

محروس : أفضّلُ أن نرجعَ !

الشيخ أبو اليسر : ولماذا ؟

محروس : الحالة كما ترون غيرُ مُطَمْئِنة . . .

الشيخ أبو اليسر : جئنا بخَمْسةَ عشرَ خفيراً من أهل الصعيد الأشِدّاء . . هذا فضلا عن العسكر الحرّاس الذين سيكونون فى الضيعة منذُ الليلةِ . . .

محروس : والحميات المتفشية ؟

الشيخ ضرغام : أليست الاحتياطات التى اتخذناها كافيةً فى مَنْعِ الشرّ ؟

الشيخ أبو اليسر : إنها فوق الكفاية ...

محروس : (للشيخ أبي اليسر) : أحسبك ياعمى قدسمعت بانتشار « التيفوس » هنا ...

الشيخ أبو اليسر (فى فزع) : « تيفوس » فى الضيعة ؟

الشيخ ضرغام : مقصده أن يقولَ فى كفر البقر . . .

محروس : أليس كفر البقر مجاوراً لنا ؟

الشيخ أبو اليسر : كنا نتكلم فى هذا الموضوع عند المأمور . . .
وقد طمأننا الدكتور أسعد طبيب البندر . . .

محروس : لقد ضربوا الحِصارَ الصحىّ على كفر البقر .

الشيخ ضرغام : من أجل أن يحصروا الحمى فى مكانها ويمنعوا عنا شرها . . .

محروس : تظن أن الحصار يفيد فى منع انتقال الحمّى ؟

حواش افندى : كل شىء بيد الله . . . لاتتعبوا أنفسكم . . .
اتركوا الأمر لله !

الشيخ أبو اليسر (فى ضيق وضَجَر لحواش افندى) : تعنى أننا نقف مكتوفى الأيدى لانصنع شيئاً ياحضرة الأفندى ؟!
(للحاضرين)
لقد فكرت فى كل هذا وأحضرت معى كل مايلزم . . . اثنتا عشرة صفيحة « بترول »

وائتنا عشرة زجاجة حامض « الفنيك » . . .
ورشاشة « السليمانى » . . سنبدأ عملية التطهير
منذُ الليلة !

محـــروس : وفيم كل هذا العناء ؟ خيرٌ لنا أن نغادر البلدة
ونعود إلى القاهرة !

لوليـــة : ألا تقترحُ أن نرجع إلا بعد أن هيأنا ساحة
« التنس » وبدأنا نستعدّ للعب ؟ !

الشيخ ضرغام : والغارات فى القـــاهرة ؟ ماذا نصنع فى
شأنها يا محروس ؟

محـــروس : الحق أنى أفضـل أن أموت فى لحظة بقنبـلة
على أن أعانىَ الموت أياما وشهوراً ها هنا . !

الشيخ أبو اليسر : دعونا من ذكر الموت ، ولنتحدث فى شـأن
الوليمة التى سنقيمها غـدا احتفـالا بتجديد
مسجد الشيخ الأربعين ، وسنطعمُ فيهـا مائة
شخص على الأقل . .

حواش افندى (للشيخ أبو اليسر) : أتريدنى لأمر يا معـالى
الباشا ؟

الشيخ أبو اليسر (ينظر إليه فى سخرية) : لا عَناء عنك !

حواش افندى : أتأذن لى أن أنصرف لأنظر ماذا يصنعون فى سقيا الرز ؟

الشيخ أبو اليسر (هازئا) : فى سلامة الله . .

(حواش افندى ينصرف)

المعلم عويس : يظهر أن السيد حواشا هذا ركبه عفريت اسمه الرز ! !

(الشيخ أبو اليسر يتضاحك)

محـــروس : لم تخبرونا ماذا تصنعون فى مشكلة (التيفوس)؟

الشيخ أبو اليسر : لا تخشوا شيئا . . إنى عنـــكم مسئول . . سنتخذ من الاحتياطات ما يكفل الأمان !

الشيخ ضرغام : مهمتنا مكافحة القمل . . القمل الخبيث . . . قطع الله دابره !

(يخرج من صدره مشطا ثم يبدأ يمشط شعره. يدخل ناصح وبيده شوكة وسكين ، وخلفه كتكوت حاملا طبقا فيه جبن)

ناصـــح (يحيى أباه فى هرج ومرج) : الحمد لله على سلامتك يا أبى . .

(يقع بصره على المعلم عويس) هيه ! . . .

أأنت هنا يا معلم عويس ؟ كيف حالك ؟
(المعلم عويس يقبّلُ يده . . .
ناصح يتكلم مخاطبا الجمع)
لقد صنعتُ لكم جُبنا ستأكلونَ أصابعكم
معه . . !
(يُعدّ قطعامن الجبن ويوزعهاعلى الحاضرين)
ذوقوا وأخبرونى برأيكم ! ؟
(للمعلم عويس)
ما قولك يا معلم عويس ؟

المعلم عويس : زُبدة ورأس أبى ! والله لا يحسنُ غيرك صنعَها ولا فى معامل اكسفورد . .
(يقول ذلك وهو يلوكُ قطعة الجبن فى فمه)
(الشيخ أبو اليسر يقترب فى تمهُّل خلفَ كتكوت يدقق النظر فى رأسه)

الشيخ أبو اليسر (صائحا بغتة) : يا حفيظ يا رب !
(الجمع يذعر . .
طبق الجبن يسقط من يد كتكوت فيتحطم على الأرض ويتناثر ما فيه)

المعلم عويس : كفانا الله الشرَّ . . . ما الخبر ؟

الشيخ أبو اليسر (مشيراً إلى رأس كتكوت فى ذعر) :
لا تقربوه ! لا تقربوه !

الشيخ ضرغام : ماله ؟ ما له ؟

الشيخ أبو اليسر : القمل ! القمل ! . . رأسه يموج بالقمل . . .
(يُخْرِجُ مِجْهَراً وينظر من بعيد فى قفا
كتكوت ثم يصيح)
احذَروا . . . وثَبتْ قملةٌ من شَعْره . . .
ها هى ذى تقفِزُ على الأرض . . .
(يخلع « بلغته » من قدمه ويمسِك بها فى يده
ويُهْرعُ إلى مكان القملة . . يهوى (ببلغته)
مرات فلا يصيبها . . . لا يزالُ كذلك حتى
يقتلها)
قتلتُكِ ياخبيثة ! !
(الشيخ ضرغام أثناء ذلك يُبعدُ محروساً عن
كتكوت)

الشيخ ضرغام : (لكتكوت) : أهكذا أنت ياولد ؟

كتكوت (متباكيا) : والله لم أُذْنِبْ ياسيدى ...

ناصـــح : ما الخبر ؟

الشيخ أبو اليسر : قل ... (تيفوس) ! . . قل . . (تيفوس) !

ناصـــح : عليكم « بالكوريين » ! . .

الشيخ أبو اليسر (للشيخ ضرغام مشيراً إلى كتكوت) : لابد أن تسلّط على رأسه ميزاب « البترول » !

الشيخ ضرغام (لكتكوت مبتعداً عنه) : اسبقني إلى الخارج .. وانتظرني عند خزان « البترول » ..

الشيخ أبو اليسر : ولا بد أن تصب على رأسه بعدَ « البترول » زجاجة من حامض « الفنيك »

الشيخ ضرغام : لابد من هذا ... لابد !

الشيخ أبي اليسر : نريد أن نقطع من الضيعة دابر القَمْل !

ناصـــح : لديَّ فكرة يا أبي ..

الشيخ أبو اليسر : قل يا بنيّ . . .

ناصـــح : تبعث منادياً ينادي في الناس أنَّ من أحضرَ لك مائة قملة مقتولة كُوفي بخمسة قروش كاملة . . .

الشيخ أبو اليسر : فكرة صائبة !

الشيخ ضرغام : لافضَّ فوكَ يا بُنَيَّ . . .

المعلم عويس : هكذا تكونُ العقولُ النيرة . . .

لولية (وهى تصفق طرباً) : مائة قلة بخمسة قروش !

(لمحروس)

ألا تجىء معى لنصطادَ لهم بِضْعَ مئات ؟ ! إنه كَسْبٌ طيب . . .

محروس (ممازحاً) : أنا مستعد . . .

(للحاضرين)

لكن يجب أن نعيِّن موظفاً يتولى عدّ جثث القتلى بالتمام والكمال ، وصرف المكافآت بلا زيادة ولا نقصان .. !

ناصح : المعلم عويس هو الخير والبركة . . .

محروس (للمعلم عويس): مشْغَلة حسنة جداً . . . ما رأيك ؟

المعلم عويس : أنا مطيعٌ لأوامر فضيلة الباشا . . .

(تُسمع بغتةً طلقةٌ ناريةٌ تتبعُها بضْعُ طلقات .. صراخ وهرْج ومرْج فى الخارج .. الحاضرون يُنْصِتون فزِعين)

الشيخ أبو اليسر : ما هـذا ؟
المعلم عويس : إنها قنابل حتما . . .
الشيخ ضرغام : قنابل ؟
محـروس : أيةُ قنابلَ ؟ إنها طلقات بندقيات !
ناصـح : نعم طلقات بندقيات . . . لاشك فى ذلك !
الشيخ أبو اليسر (فى فزع) : إذن هم لصوص أغاروا علينا للبسطو . . للسرقة . . .
(يصيح بأعلى صوته)
يا كتكوت . . يا كتكوت . . .
(لا أحدَ يجيب . . .
الجمْعُ مُرْهِفُ السمع . . .
اللَّغَط فى الخارج يزداد . . .
يعود الشيخ أبو اليسر إلى صياحه)
يا كتكوت . . . يا كتكوت . . .
(لا أحدَ يجيب)
أين ذهب هذا الولد الخبيث ؟ . .
الشيخ ضرغام : أظنُّه منتظراً فى الفناء بجـوار ميزاب « البترول » . . .

الشيخ بو اليسر : أهذا وقتُ « البترول » ياشيخ ضرغام ؟

محروس : حتمٌ أن نخرج لنعرف ماذا حدث ؟

لولية (متشبثة به) : إذا خرجتَ رافقتُكَ !

الشيخ ضرغام : أين تخرجان ؟

ناصح (وقد اعتراه جزَع) : ربما كان اللصوص قد حاصروا البيت . . .

المعلم عويس : كيف ؟ أليس هنا شرطةٌ تحفَظ أرواحَ الناس ؟ !

الشيخ أبو اليسر : وأين ذهب الخفراء الذين أتيتُ بهم من الصعيد ؟ ... إنهم خمسة عشر !

(الضَّجة تزداد فى الخارج .. تُسمعُ طلقات أخَر . . .)

محروس : الأمر جدّ . . . الضرب يعود . . . حتم أن نخرج لنتبين ما هذا ؟

لولية (وهى متشبثة به) : قلت لكَ إن خرجتَ رافقتُكَ !

الشيخ ضرغام (للشيخ أبى اليسر) : لا تنس أن أبواب الدار مفتحة !

الشيخ أبو اليسر (صائحاً بأعلى صوته): أغلقوا الأبواب... أغلقوا الأبواب...

(الشيخ ضرغام يهرع إلى باب الحجرة فيُغْلِقُه)

المعلم عويس: اطمئِنّ يافضيلة الباشا.. لعل المسألة لاسطو فيها ولا لصوص...

الشيخ ضرغام: إذن ماذا يكون؟ أعُرْسٌ هو يطبّلون فيه ويرقصون؟..

الشيخ أبو اليسر: باعتبارى رئيس الأسرة لابدّ أن أحرص على سلامتكم جميعا.. وألاّ أهمل فى اتخاذ أدقّ الاحتياطات...

(الضجة مستمرة فى الخارج... تسمعُ أقدامٌ مهرولة نحو باب الحجرة... الجَمْع يُنْصِت)

الشيخ أبو اليسر: أقادمٌ أحد؟

(شخص يحاولُ فتحَ الباب ثم لا يلبثُ أن يقرعَه)

إنهم يدقّون الباب . . .

صـــوت (من الخارج وهو يقرع الباب) : افتحوا ياسعادةَ الأستاذ . . . افتحوا . . . افتحوا ياسعادة الأستاذ !

المعلم عويس : إنه صوت كتكوت . . .

الشيخ أبو اليسر : إذا كان صوت كتكوت فلا بأس بأن نفتح له . . .

الشيخ ضرغام (متحرّزاً) : انظرْ لعل الطارقَ غير كتكوت . . .

الشيخ أبو اليسر : أتحسَبُ أنه شخص يقلّد صوت كتكوت؟

صـــوت (من الخارج) : يا سعادة الأستـــاذ . . يا سعادة الأستاذ . .

المعلم عويس : قطعتُ ذراعي إن لم يكن الطارق كتكوتا نفسه ! . .

محـــروس : كتكوت أو غير كتكوت . . سأفتح الباب للطارق . .

ناصـــح : نعم لا بدّ أن نفتح له !

الشيخ ضرغام (وقد سدالطريق أمام محروس) : أين تذهب؟

الشيخ أبو اليسر (لمحروس) : البث قليلا يا محروس لنتفهم الأمر فى رَوِيّة !!

محروس : أنا ذاهب لإحضار بندقيتى وتبين الأمر ..

الشيخ ضرغام : بندقيتك ؟!

محروس (فى تخابث) : نعم ، البندقية التى كانت ضائعة ثم عثرتُ عليها ..

(الشيخ ضرغام ينظر إلى لولية فتخفض بصرها ارتباكا)

صوت (من الخارج وهو يقرع الباب) : يا سعادة الأستاذ .. يا سعادة الأستاذ ..

الشيخ أبو اليسر : ماذا تريد يا ولد ؟

كتكوت (من الخارج) : افتح يا سعادة الأستاذ ... قتيل ... قتيل .. يا سعادة الأستاذ ..

الشيخ أبو اليسر (مرددا) : قتيل ؟ !

الحاضرون : قتيل ؟!

الشيخ أبو اليسر (فى ذهول وخوف) : من يا ترى ؟ من القتيل ؟ أنتَ ؟

محروس : يا ناس.. افتحوا له لنعرف منه جليّة الأمر.

(يهرع إلى الباب فيفتحه .. يدخل كتكوت)

كتكوت : إبراهيم الغتيت خفير الجرن زوج مقطفة الحلابة . . .

الشيخ أبو اليسر : ماله ؟ ماله ؟

كتكوت : قتلوه . .

لولية : قتلوه ؟ أعوذ بالله . .

ناصح (مغمغما) : زوج مقطفة ؟

الشيخ ضرغام : كيف قتلوه ؟

محروس : ومن قتله ؟

كتكوت : عراقى ابن شيخ عزبة الورديان . .

ناصح (مغمغما) : عراقى ؟

كتكوت : ترصد له خلف النخيل وأطلق عليه الرصاص

الشيخ أبو اليسر : لقد سمعنا طلقات كثيرة .

كتكوت : إن أصحاب عراقى وأقارب الغتيت اشتبكوا فى عراك .

المعلم عويس : ألم يقبضوا على عراقى هذا ؟

كتكوت : قبضوا عليه وقيدوه بالحبال وألقوه بجوار شجرة الجميز . .

الشيخ أبو اليسر (فى ذُعر) : تركوه وحده ياولد ؟

كتكوت : معه خمسة حفراء . .

الشيخ أبو اليسر : هل حضر من المركز طائفة العسكر الذين وعد المأمور بحضورهم لحراسة الضيعة؟

كتكوت : لم يحضر أحد منهم بعد . .

الشيخ أبو اليسر (معاتبا) : كثّر الله خيرك ياسعادة المأمور! وفاء بالوعد لا مثيل له .. الدنيا كلها عجائب!

كتكوت (للشيخ أبى اليسر) : شيخ الضيعة يرجو أن تتفضل سعادتك بمعاينة الحادثة فى الجرن ، ريثما يحضر حضرة العمدة والبك المأمور . .

الشيخ ضرغام : وهل القتيل فى مكانه ؟

كتكوت : هناك فى الجرن . . كما تركوه !

محروس : لابأس . . نذهب لنعاين الحادثة . .

الشيخ أبو اليسر : أنذهب لِنُحْيِىَ القَتيل ؟ !

المعلم عويس : أم لنشرِّحَ الجثة ؟

لولية : أشعر بضيق تنفّس !

(تعتمد على محروس)

محروس (للولية وهو يروّحُ بمنديله وجهها) : أفيق

لا تخشى شيئا . .

لوليـة : لا تتركنى !

الشيخ ضرغام : كيف يتركك ؟ أبلا قلب هو ؟

محروس (للولية) : اطمئنى . . أنا معك !

كتكوت (للشيخ أبى اليسر) : أذاهب أنت يا سعادة الأستاذ إلى الجرن ؟

الشيخ أبو اليسر : وأين حواش ؟

كتكوت : أرسلوا فى طلبه من الحقل . . إنه هنـاك مشغول بسقيا الرز . .

الشيخ أبو اليسر : لا بد أن يحضر حالا . .

كتكوت : شيخ الضيعة يقول إن حضور سعادتك إلى الجرن ضرورى من أجل . .

الشيخ أبو اليسر : أنا عالم أن وجودى ضرورى، ولكنى رجل قرأت كلام الله، والسير فوق الدماء حرام.

الشيخ ضرغام : هـذا حق ...

(تدخل مقطفة مهرولة جزعة)

مقطفـة : فى عرضكم يا سادة . . فى عرضكم يا سادة !

الشيخ أبو اليسر : مالك يا جرى يا بنت ؟

مقطفة : فى عرضك يا سيدى الباشا .. فى عرضك !

الشيخ أبو اليسر : ماذا جرى ؟ أخبرينى !

مقطفة : آل زوجى يحاولون قتلى !

الشيخ ضرغام : لماذا يقتلونكِ ؟

مقطفة : أطلقوا علىّ النار ..

ناصح : إنهم لأنذال !

مقطفة (مخاطبةً ناصحا) : مظلومةً يا سيدى البك ..

محروس : أوَقد اتهمكِ أحدٌ بشىء ؟

مقطفة : لا شأن لى بأحد قط .. أنا فى شغلى !

لولية : ولماذا أطلقوا عليكِ النار ؟

مقطفة : سكان الضيعة يا سيدتى كلهم يكيد بعضهم لبعض .. وأنا مظلومة وحياة رأسك !!

كتكوت (ثائرا على مقطفة) : كل الناس يقولون إنك كنت مع عراقى قبيل إطلاق الرصاص على زوجك ..!

ناصح : إنها كانت تحلب الجاموسَ يا ولد ..

مقطفة : ها هو ذا سيدى البك شاهد ..

الشيخ أبو اليسر : ربما كان .. الأمر ..

(يسقط فى البهو حجر ملفوف فى ورقة اندفع من النافذة)

الشيخ ضرغام : بسم الله الرحمن الرحيم .. ماهذا ؟

(يسارع محروس إلى الورقة فيلتقطها .. يقول له الشيخ ضرغام)

لا تقحم نفسك فى هذه الأشياء ...

محروس (يقرأ الورقة على الحاضرين) : أسلموا مقطفة إلى آل زوجها وإلا ساءت العقبى!.. وليتحمل كل امرئ تبعة ما يعمل ! ...

(يقول لهم):

يبدو أن الحالة فى الضيعة مضطربة أسوأ اضطراب ...

الشيخ أبو اليسر (للشيخ ضرغام) : ألا تغلق الباب يا شيخ ضرغام ؟.

(الشيخ ضرغام يغلق الباب ويأتى بالمفتاح)

المعلم عويس وأين الخفراء إذن ؟

الشيخ أبو اليسر (صائحا بكتكوت) : كيف لا يحضر العسكر الحراس من المركز حتى الآن ؟

كتكوت وحياة رأسك ياسعادة الأستاذ إنهم لم يأتوا بعد.

المعلم عويس مفهوم الورقة أن أقارب القتيل يهددوننا إن لم نخرج إليهم مقطفة ...

الشيخ أبو اليسر (متظاهراً بالشجاعة) . قوم لايستحون .. سأريهم كيف يهددون ؟

ناصح : أوشاب وأوغاد . .

(ضجة فى الخارج)

الشيخ أبو اليسر (فزعا) : ما هذا ؟

كتكوت (ينظر من النافذة) : أظنه الأفندى الناظر ذاهبا إلى الجرن . .

الشيخ ضرغام (لكتكوت) : ولماذا تفتح الشباك على مصراعيه هكذا . .

الشيخ أبو اليسر (لكتكوت) : أغلق الشباك يا ولد . . إنه يسبب تيارا قويا من الهواء لا نحتمله . .

(الشيخ ضرغام يسارُّ الشيخ أبا اليسر فى اهتمام)

الشيخ ضرغام (للحاضرين): أحسبُ أن من الخير أن تبقى مقطفة فى إحدى الحجر حتى ننظر فى أمرها .

الشيخ أبو اليسر : وكتكوت يجلس معها .

الشيخ ضرغام (مشيراً إلى مقطفة وكتكوت) : هيا ادخلا هنالك . . .

مقطفة : (صاغرة) : سمع وطاعة !

(للشيخ أبى اليسر :)

وحياة رأسك ياسيدى الباشا لا تُسْلِمْنى إلى آل زوجى خشيَة أن يذبحونى !

لولية (لمحروس) : كيف يذبحونها ؟ ماهذا الكلام ؟

الشيخ أبو اليسر : وأين أهلُك ؟

مقطفة : أهلى فى غير الضيعة يسكنون . . . كلُّ أهل الضيعة متعصبون علىَّ ، مؤتمرون بى . . . مظلومةٌ والله !

الشيخ أبو اليسر : لاتخافى . . . سنُجرى مايلزم !

(مقطفة وكتكوت ينصرفان)

ناصح : إنها بنت يتيمة مسكينة . . . للمعروف فيها أحسن الثواب !

الشيخ ضرغام : رأى أننا لا ندخل فى هذه المنازعات التى لايخلصنا منها شىء . . وبذلك نستريح !

المعلم عويس : رأيك يامولانا أن نُسلِّمَ مقطفة إلى أهل زوجها يذبحونها كما تُذبح الشاة ؟!

الشيخ ضرغام : أقلتُ نتركها يذبحونها ؟

المعلم عويس : إذا أخذوها فقل رحمة الله عليها !

ناصح : ليس من المروءة أن نسلم شخصاً قد التجأ إلينا واحتمى بنا ..

الشيخ أبو اليسر : لايجوز ... بيد أن العدل لابدَّ أن يأخذ مجراه ...

مجروس : واجب أن نحقق فى المسألة ليتضح لنا: أأذنبت مقطفة أم هى بريئة ؟

الشيخ ضرغام : وهل هذا عملُنا ؟. هذه مهمة رجال الشُّرطة..

مجروس : إذن نسلمها إلى رجال الشرطة ...

الشيخ ضرغام : وأين رجال الشرطة الآن ؟ لا تنسوا أننا نحمى شخصاً ربما كان قوىَّ الصِّلة بالجريمة !

الشيخ أبو اليسر : فكرة جديرة بالبحث والتروِّى ...

ناصح : المتهم برىء حتى تثبت إدانته .. ذلك حُكمُ القانون ! ...

الشيخ ضرغام : أفى محكمة نحن ؟ مالنا ولهذه الفلسفة ؟ نحن فى الريف !

ناصح : رأيى ألا نسلِمَ مقطفة إلى أهل زوجها !

محروس : أجدرُ بنا أن ننتظر حتى يحضر رجال الشُّرطة . .

الشيخ ضرغام : ألا يمكن أن يحدث هجوم علينا من أجل هذا الأمر قبل أن يحضر رجال الشرطة ؟

الشيخ أبو اليسر (متظاهراً بالشجاعة) : لا يجرؤ أحد أن يهجُمَ علينا يا شيخ ضرغام . .

المعلم عويس : كيف يهجمون ؟ وأين نحن إذن ؟

الشيخ أبو اليسر (لناصح) : ألا يحسن أن نضع فى الأبواب جملة الأقفال والمزالج التى جئت بها من البندر ؟ . .

ناصح : ولم لا يحسن ؟ أستطيع أن أدقها فى الحال . وإذن يصبحَ البيتُ كالقلعة لا يتسنىَّ لأحد أن ينفذ منها . .

(يُسمع قرعٌ على الباب . . الجمع ينصت . .)

الشيخ أبو اليسر : من الطارق ؟

متـــولى (من الخارج) : أنا «متولى» يا سعادة الباشا .

الشيخ أبو اليسر : وماذا تريد ؟

متـــولى : افتحوا لى الباب أولا . .

الشيخ أبو اليسر : ألا تستطيع أن تتكلم وراء الباب ؟

متـــولى : إنها مسألة بينى وبينكم يا سعادة الباشا . .

الشيخ ضرغام (للحاضرين) : يظهر أن آل القتيل أرسلوا مندوباً عنهم ليفاوضنا فى موضوع مقطفة . .

ناصـــح : أدخلوه لننظر ماذا يبغى ؟

الشيخ أبو اليسر : أدخلوه... لا مانع !

(الشيخ ضرغام يذهب ليفتح الباب . . يدخل متولى ، يقول له الشيخ أبو اليسر) :

أية مسألة يا متولى ؟

الشيخ ضرغام : أيريدون مقطفة ؟

الشيخ أبو اليسر : وكيف الحالة فى الخارج ؟ . .

متولى : الحالة حسنة . القتيل فى الجـــرن . والولد عراقى مقيد بجوار الجميزة . .

الشيخ ضرغام : ليس فى الخارج تجمهر مثلا ؟ !

متولى : ماذا تقصد يا سيدى ؟

المعلم عويس : قصد مولانا الشيخ أن يسألك أليس فى الخارج مظاهرات ؟

متولى : أية مظاهرات ؟ !

ناصح : يبدو أن الحالة هدأت . .

متولى : هادئة بإذن الله !

الشيخ أبو اليسر : ولكن يجب أن نضع الأقفال والمزالج فى الأبواب . .

(لناصح) :

ألا تبدأ عملك هذا ؟

ناصح : أنا مستعد . . أحضروا لى القدوم والمسامير

متولى : ولم هذه الأقفال والمزالج ؟ الله الحارس !

الشيخ أبو اليسر (لمتولى) : وأنت الذى تعلمنى أن الحارس هو الله ؟ ! وماذا جئت به من عندك ؟ !

متولى (للشيخ أبو اليسر) : كيف أعلمك يا حضرة الباشا ؟ . . أنت الذى تعلمنا . . أنت الذى قرأت كلام الله، وعرفت أن كل شىء بإذنه، وأن الموت على رقاب العباد . . !

الشيخ أبو اليسر : كل هذا معلوم ومحفوظ . .

متولى : وما دام كل هذا معلوما ومحفوظا، فلم الخوف والفزع والاحتياطات التى لا داعى لها ؟! .

الشيخ أبو اليسر (غاضبا) : أى خوف وفزع ؟ أنت رجلٌ قليلُ الأدب . .

المعلم عويس (لمتولى) : ماذا جرى لك يا متولى ؟ احفظ لسانك !

متولى : لعلىٌّ خلَطْتُ فى الكلام دون وعى . . . لا تؤاخذنى يا حضرة الباشا . . سامحنى !

الشيخ أبو اليسر (للمعلم عويس) : أحرام أن نحترس وأن ننظر إلى بعيد ؟.. إنك ترى كيف ساءت الحال ووقعنا فى هياج وإطلاق رصاص وقتل أرواح

متولى : الأمر كله قتيل واحد !

المعلم عويس (لمتولى) : أى عدد كنت تريد أن يقتل ؟!

متولى : لستُ إلى هذا أقصد . . . رجلٌ قُتِلَ . . . وماذا فى هذا ؟.. مكتوب عليه .. لو لم يُقتَل بالرصاص لمات بغير ذلك حتما ! . . . عمره انقضى !

الشيخ أبو اليسر : (متضايقاً) : أعُدتَ تخلط بلا وعى ؟ تكلم فى الأمر الذى قدِمتَ من أجله ...

متولى : إنها مسألة تافهة ...

ناصح : ومادامت تافهة فلماذا جئت تقلقنا ؟

الشيخ ضرغام : أية مسألة هى ؟

متولى (للشيخ أبى اليسر) : شيخ ضيعة كفر البقر جاء يطلب مقابلتك ...

محروس : كفر البقر؟ أليس هو البلد المحاصر من أجل « التيفوس » ؟

لوليـــة : وكيف تركوه يخرج من البلد ويقدَمُ هنا ؟

متولى : جاء فى خفية ... لسعادة الباشا عليه أفضال لاينساها ...

الشيخ ضرغام (لمتولى) : وكيف تركتموه يدخل الضيعة وهو من كفر البقر ؟ ألا تعرف أنه ربما كان يحمل جراثيم الحمى ؟

متولى : أية حمى يامولانا الشيخ ؟ إن الرجل كالفحل ، وصحته أحسن منى ومنك !

الشيخ ضرغام : جهل مُطْبِق ...

الشيخ أبو اليسر : لا فراغ عندى للقاء أحد ... ألا ترى فيم نحن مشغولون ؟ نريد التحقيق فى حادث القتيل !

متولى : (للشيخ أبى اليسر) يقول إنه سمع خبراً يريد إبلاغه إلى حضرتك ..

الشيخ أبو اليسر : أى خبر ؟ تكلم بما عندك !

متولى : (متردداً) : أعنى ... لا تنزعجوا ...

الشيخ ضرغام (متسائلا) : ماهذا الكلام ؟

المعلم عويس : إنها ألغاز ! .

لولية (فى جزع) : ترى ماهو الخبر ؟

(محروس يطمئنها)

متولى (للوليـة) : لاشىء وحياة رأسك ! ... إنه كلام فى كلام ...

الشيخ أبو اليسر : وما هو هذا الكلام ؟ افتح فمك وانطق !

متولى (متردداً) : يقول ... إن الصحة ستضرب الحصار على ضيعتنا غداً ...

(ذهول يشمل الحاضرين)

الشيخ أبو اليسر (مدهوشاً متعجباً) : تضرب الصحة الحصار على ضيعتنا ؟

ضيعتنا نحن هنا ؟ (يصيح بمتولى)

ناصح : ماهذا الكلام الفارغ ؟..

لولية : ترى ياربّاه ماذا ينتظرُنا ؟

محروس : قلت لكم أكثر من مرةٍ نتركُ هذا البلد ونرجع إلى القاهرة ... حسبنا بقاءً فيه !

الشيخ ضرغام (صائحا) : غير معقول أن يضرب على ضيعتنا الحصار !

المعلم عويس (يتحدث إلى متولى بصوت منخفض) : ترى هل حدث شيء ؟

متولى : يقولون إنهم يشكون فى حدوث إصابتين .

الشيخ ضرغام : حدوث إصابتين ؟ !

الشيخ أبو اليسر (صائحا) : فى ضيعتنا نحن ؟

ناصح : كلام هُراء .. لقد اتخذنا أدق الاحتياطات

محروس : رأيى أن تبتوا فى شأن السفر على عجل ... إن الأمر جد لا لعب !!

الشيخ ضرغام : وماذا تقصد ؟

محروس : قلت لكم نرحل ..

الشيخ ضرغام (مغمغما) : والغارات ؟

الشيخ أبو اليسر (مرددا فى اختلاط) : نرحل على عجل ؟ . .
المعلم عويس : وحفلة افتتاح المسجد ؟ . .
الشيخ أبو اليسر (فى اختلاط وذهول) : حقا ماذا نصنع بحفلة افتتاح المسجد ؟
محروس : حفلة المسجد يمكن أن تؤجل . .
ناصـــح : أما التأجيل فى الإمكان . . ولكن الأمر لا يستوجب الإسراع بالسفر إلى هذا الحد !
الشيخ ضرغام (مرتبكا) : يقولون إنهم سيضربون الحصار على الضيعة غدا . .
متـولى : فى مطلع الفجر . .
المعلم عويس : وهل يتعـذر خروجنا من الضيعة بعـد أن يضربوا الحصار ؟
محروس : يصبح الخروج متعذراً جداً ...
المعلم عويس : ما هذا ؟ إذن هم يقصـدون أن يحبسونا فى الضيعة ؟ !
الشيخ أبو اليسر : هل يجرؤ أحد أن يحبسنا ؟
(يُسمع لغط من الخـارج تتبعه ضجّـة . . أصوات تضارُب بالهراوات)

الشيخ ضرغام : عاد الهياج !

(متولى يذهب فيفتح النافذة وينظر)

الشيخ أبو اليسر : أغلق الشباك يا متولى . .

(متولى يغلق النافذة . . . الشيخ ابو اليسر يسائله فى هلع) : ماذا حدث ؟

متولى : يبدو أن الخفراء يتطاحنون هم وأعوان عراقى

الشيخ أبو اليسر (صائحا بناصح) : ماذا صنعت بالأقفال والمزالج يا ناصح ؟ أين القدوم والمسامير ؟

(صارخا) :

يا كتكوت . . يا كتكوت . .

(كتكوت يدخل مهرولا، يقول له) :

(يتذكر أن رأس كتكوت حافل بالقمل) :

وماذا صنعت برأسك ؟ ألم تغسله «بالبترول» ابتعد . . .

كتكوت : لقد انتظرتُ الشيخ ضرغاما حتى . .

الشيخ أبو اليسر : حسن .. انتظر .. بعيدا .. بعيدا .. بل اخرج . اذهب فاغسل رأسك .. اخرج !

(يتهيأ كتكوت للانصراف)

كلا لا تخرج .. أغلقوا الأبواب .. أغلقوا الشبابيك .. «البترول» .. الأقفال والمزالج..

(صائحا)

لا أحد يجرؤ أن يهجم علينا .. إنى متخذ أشد الاحتياطات .. إنى مسئول عنكم أجمعين.

(لا يكاد يفرغ من قوله ، حتى يتهالك مغمى عليه بين يدى الحاضرين ، فيولونه عنايتهم مضطربين ...)

ستارة الفصل الثانى

الفصل الثالث

(المنظر السابق . . .
الوقت : منتصف الليل . . .
المعلم عويس مشغول بحزم المتاع ...
الشيخ أبو اليسر على مقربة منه يراقبه)

الشيخ أبو اليسر : تعبت ياعويس ... مضت عليك ساعتان لم تسترح فيهما لحظة.. رتبت الثياب فى الحقائب وحزمت الأمتعة . . . والله لا أدرى كيف أفيك حقك ياعويس !

المعلم عويس (وهو يعمل بهمة) : عفوك يافضيلة الباشا ... إن جميلك يطوق عنق !

الشيخ أبو اليسر : كلما تمثل لى أنك جئت عصر اليوم ، وأنك ستعود معنا إلى القاهرة بعد قليل ، أتألم من أجلك أشد الألم ..

المعلم عويس : حقاً كنت أريد أن أتنزه أياماً فى الضيعة ، ولكن لا بأس ... بذلك جرت المقادير !

الشيخ أبو اليسر : إننا سنرجع ثانيـــة إلى الضيعة كما اتفقنا إن شاء الله ...

(يدخل ناصح باحثاً عن شيء)

ناصـــح (متسائلا) : ألم يقع بصركما على صندوق الفرافير ؟.

الشيخ أبو اليسر : لم يقع بصرى عليه ...

المعلم عويس : أظنه مع كتكوت ...

ناصـــح : وأين كتكوت ؟ إنى لا أجده !

المعلم عويس : كان الشيخ ضرغام يغسل له رأسه «بالبترول» ويفلّى له شعره ...

الشيخ أبو اليسر : لقد انتهى من تفليته وغَسْلِ رأسه وتبديل ملابسه .. وأصبح كتكوت نظيفا على أحسن حال !.

ناصـــح : وأين هو الآن ؟

الشيخ أبو اليسر (وهو خافض الصوت) : ذهب مع الشيخ ضرغام ليوصُوا بالسيارات التى تقلنا ...

ناصـــح : أريد أن أعرف أين وضع صندوق الفرافير؟ لا يمكن أن أسافر إلا إذا حملته معى ... سأقدمه إلى الجمعية الملكية للحشرات بالقاهرة

وسالق هناك محاضرة تشرح المجموعة الفريدة
التى يحتويها الصندوق .. لقد اكتشفت
فصائل من هذه الفرافير لم تعرفْ بعدُ !

الشيخ أبو اليسر : الشهادة لله يا بُنَىّ ... إنك قمت بما يجبُ
عليك خير قيام أثناء إقامتك فى الضيعة ...

المعلم عويس : وهل فى ذلك شك ؟

(بعد فترة قصيرة)

ألاحظ يافضيلة الباشا أن الشيخ ضرغاماً
وكتكوتا تأخرا كثيراً ...
لقد أزمعنا أن نترك الضيعة قبيل الفجر ..

الشيخ أبو اليسر : سنتركها إن شاء الله قبيل الفجر ... حتما !

المعلم عويس : حتى لايهبط علينا مفتش الصحة فيفسد علينا
تدبيرنا الذى أحكمنا خطته !

ناصح (باستهزاء) : مفتش الصحة ؟ وهل نهتم بمثل
هذا ؟ .. فليحضر مفتش الصحة ، ولينظر
ماذا يكون ؟

الشيخ أبو اليسر : من يحاول أن يمنعنى من السفر ؟ .. أنا حر
فى تصرفى !

ناصـــح (وقد رفع صوته) : والله لو حاول منعي أحد لأريته كيف يكون المصير ؟!

الشيخ أبو اليسر (لناصح) : لا ترفع صوتك بهذا الكلام !

ناصـــح (وقد خفض من صوته) : وهل نخشى أحد ؟

الشيخ أبو اليسر : حقاً لا نخشى أحدا .. ولكن المسألة أننا دبرنا خطة ونريد أن تجوز على كل من حولنا، لا نبغي أن يعرف أحد عزمنا على السفر !

المعلم عويس : حقاً إنها لحيلة بارعة !

(يغرق في الضحك بصوت مكتوم)

الشيخ أبو اليسر حتى حواش افندى .. يجب ألا يعلم مما بيتناه شيئا !

المعلم عويس : وهل رآه أحد بعد أن فرغ مأمـــور المركز من تحقيق الجناية الشنيعة .. مضى مسرعا إلى الرز !

الشيخ أبو اليسر : فلندعه هكذا غارقا في الرز !

ناصـــح : إن سفرنا سيكون مفاجأة غاية في الطرافة !

المعلم عويس : وحفلة الشيخ الأربعين ؟ .. ماذا تنوون أن تفعلوا في شأنها ؟

الشيخ أبو اليسر : رضى الله عنه .. !

المعلم عويس : تريدون تأجيل الحفلة ؟

الشيخ أبو اليسر : قلنا إننا سنعود .. وهل يهرب الشيخ الأربعين؟

المعلم عويس (متضاحكا فى همهمة) : لا والله .. نحن الهاربون !

الشيخ أبى اليسر : هاربون ؟ .. هيهات ! .. من يستطيع أن يلفظ بهذا القول ؟

المعلم عويس (متضاحكا) : إنى أمرح يا فضيلة الباشا . !

(يدخل الشيخ ضرغام ومعه كتكوت)

الشيخ ضرغام : لقد نجحت نجاحا عظيما . .

الشيخ أبو اليسر : حسن . .

الشيخ ضرغام : هنئونى ! .. أقول لكم : هنئونى !

المعلم عويس : مبارك ألف مرة .. هكذا تكون همم الرجال!

الشيخ أبو اليسر : هل أعدَّت السيارات ؟

الشيخ ضرغام : أية سيارات !.. احزروا ماذا أحضرت لكم؟

المعلم عويس : لعلك أوصيت بسيارة عامة من سيارات الركاب ! ..

الشيخ ضرغام : أخطأ ظنك .. قل غير هذا . .

المعلم عويس : إذن حجزت لنا قطاراً فاخرا .. !

ناصح : ما حقيقة الأمر ؟

الشيخ ضرغام : سيارة من سيارات النقل الجبارة !

(الشيخ أبو اليسر وناصح والمعلم عويس مدهوشين ، مبهوتين ، فى خيبة) :

سيارة من سيارات النقل الجبارة ؟ كيف ؟ كيف ذلك ؟

كتكوت : ورأس الشيخ الأربعين إنها خرجت من مصنعها أمس !

الشيخ ضرغام : أى شىء كان يلمُّ شملنا ويتسع لمتاعنا إلا مثل هذه السيارة الجبارة ؟ !

ناصح (متأففاً) : ولكن . . أريد أن أقول ...

المعلم عويس (ناظراً إلى الشيخ أبى اليسر) : ربما كان فضيلة الباشا لا يستحسن ركوب مثل هذه السيارة ...

الشيخ أبو اليسر (فى استسلام) : إنى ديمقراطى طول حياتى .. لا كلفة فى مثل هذه الشئون !

المعلم عويس : هذا صحيح .. لا فُضَّ فوك !

(ملتفتاً إلى الشيخ ضرغام) :
وهذه السيارة.. أهي تحوى مقاعد للجلوس أم
سنظل من هنا إلى القاهرة وقوفاً بحمد الله
وفضل عربتك المختارة يا مولانا ؟

الشيخ ضرغام : وهل يعقل أن نقف من هنا إلى القاهرة ؟!
(للمعلم عويس) :
أحسب أننا لو تركنا لك مهمة البحث عن
وسيلة للسفر ، لاخترت لنا قطيعا من حمير
السكك !! ..

(يلتفت إلى كتكوت) :
أفى السيارة مقاعد أم لا ؟

كتكوت : فيها دكاك خشبية نظيفة كالفل ! ..

الشيخ ضرغام : ما قولكم فى هذا ؟

الشيخ أبو اليسر : لا يعلم أحد شيئا من ذلك . . أليس كذلك ؟

الشيخ ضرغام : لا أحد يعلم ! . . إلا متولى رئيس الزراع ...

الشيخ أبو اليسر : هذا لا بأس به . . .

الشيخ ضرغام : هو الذى أصدر أمره إلى الخفراء أن يخلوا
الطريق الذى سنسير فيه لنستقل السيارة . . .

لن يرانا أحدٌ ونحن خارجون ... اطمئنوا إلى ذلك أتمَّ اطمئنان !

الشيخ أبو اليسر : عظيم .. عظيم ...

ناصح (لكتكوت جانباً) : أين يا كتكوت صندوق الفرافير ؟

كتكوت : محفوظ ياسيدى .. فى مخزن الأمتعة ...

ناصح : وهل مخزن الأمتعة مكان لصندوق الفرافير؟. اذهب فأحضره من فورك !

كتكوت : حاضر . . .

(يخرج كتكوت)

الشيخ أبو اليسر : متى موعد حضور السيارة ياشيخ ضرغام؟!

الشيخ ضرغام : الساعة الثانية بعد منتصف الليل . . ستقف السيارة بجوار القنطرة . . قبل الفجر بساعتين اثنتين . . .

الشيخ أبو اليسر : لا أريد أن يرى السيارة أحد من الخفراء ...

الشيخ ضرغام : كلا لن يراها أحد . . لقد اتخذ متولى أشد الحيطة لتحقيق ذلك !

المعلم عويس (للشيخ أبى اليسر) : الحق يافضيلة الباشا أن

عدم هؤلاء الخفراء خيرٌ من وجودهم !

الشيخ أبو اليسر : كيف ؟؟

المعلم عويس : لو كان فيهم خيرٌ لما قُتل تحت أعينهم الرجل المسمىّ الغتيت كما يصاد عصفور !

الشيخ ضرغام : انتهت الحادثة والحمد لله . .

ناصح : انتهت . . ولكن بعد عناء .. بعد أن صدّعوا رءوسنا بتحقيق وسؤال وجواب ..

المعلم عويس (لناصح): لولاك ياناصح بك لما وصلوا فى التحقيق إلى شىء .. والحق أنى مشفقٌ على البنت مقطفة ..

الشيخ ضرغام : لماذا أنت مشفق عليها ؟ وماذا أصابها ؟ إنها الآن رهن التحقيق !

الشيخ أبو اليسر : يبدو أنهم سيطلقون سراحها .. ذلك ما سمعت؟

ناصح : لا بد أن يطلقوا سراحها . وهل فعلتْ شيئا؟

المعلم عويس (لناصح) : شهادتك التى أديتها يا ناصح بك أمام رجال الشرطة سيكون لها الفضل فى تخلص رقبتها من الاتهام ..

ناصح : الحق يا عويس أنى قلت ما أملاه عـلى ضميرى .. فتاة يتيمة مغلوبة على أمرها .. جديرة بالخير !

(لوالده الشيخ أبى اليسر) : لقد فكرت أن نأتى بها إلى مصر لتتولى عمل الجبن والزبد هناك ..

الشيخ أبو اليسر (متلكئا) : لا مانع ..

ناصح : نضمن على الأقل ما نأكل ..

(يدخل كتكوت بصندوق الفرافير .. يأخذه ناصح منه ويشتغل بترتيب الفرافير فيه يقبل عليه المعلم عويس متفحصا متفرجا)

المعلم عويس (وهو ناظر فى صندوق الفرافير) : شىء يحير العقول !

الشيخ ضرغام : لا أرى محروسا ولا لولية .. أين هما ؟ .. أما يعرفان أننا مسافرون بعد قليل ؟ ..

المعلم عويس : إنهما يعدان حقائبهما ..

كتكوت : سيدى محروس بك وسيدتى لولية ناعسان على المتكأ ..

الشيخ ضرغام : وهل هـــذا وقت نوم ؟ اذهب فأيقظهما وادعهما إلينا هنا .. ثم امض إلى القنطـرة فانتظر السيـارة هناك ، فإذا قدمت فأسـرع إلينا لتخبرنا .. دون ضوضاء .. دون إشارة أو عبارة .. لا يعلم بك أحد !

كتكوت : سمع وطاعة ..

(يخرج كتكوت .

الشيخ أبو اليسر يعنى بمتاعه ..

المعلم عويس يعود إلى حزم الحقائب ..

الشيخ ضرغام يشعل لفافة تبغ ويدخنها مفكراً ...

بعد لحظة يدخل محروس ولولية وهما يتثاءبان)

محـــروس (للجمع) : صَمَّمْتُمْ على الخروج الآن ؟

الشيخ أبو اليسر : بعد قليل ...

الشيخ ضرغام : الساعة الثانيـة إلا ربعَ ساعة ... تنصرف من هنا ..

لوليـــة (والنوم غالب عليهـا) : ولماذا أيقظتمونا الآن إذن ، وفى الوقت متسع ؟!

الشيخ أبو اليسر : أى متسع ؟ لابد أن نستعد من الآن ...

محـــروس (وقد رمى بنفسه على المتكأ) : أحسن فكرة أنفذتموها فكرة السفر هذه !

لوليـــة : بعد أن هيأنا ملعب التنس واشترينا المضارب نسارع إلى السفر ؟ !

ناصـــح : ملاعب (التنس) كثيرة فى القاهرة ...

الشيخ أبو اليسر : الحق أنى ما كان بودى أن أنتقل من هـذا البـلد ... والله مابعثنى على السفر إلا شىء واحد : واجبى نحو بنى وطنى ! .. لجنة الدفاع عن المدنيين فى القاهرة على وشك التأليف وهم يلحُّون علىّ فى أن أكون عضواً معهم ..

محـــروس : رأيى أن تَقْبَل هذه العُضوية ياعمّ ...

الشيخ أبو اليسر : هى خدمة اجتماعية علينا أن نؤديها مرحبين.. يجب أن نقدّم لأهل وطننا مافى وسعنا من جهد ومعونة ... على المرء أن يُقْدِمَ فى ساعة الخطر وأن يقول : هأنذا ...

ناصـح : مرحى يا أبى !

محـــروس : (للشيخ أبى اليسر) : إذن سنعمل معاً ياعمى .

البوليس الخاص سيتبعُ هذه اللجنة ...

الشيخ ضرغام (غاضباً) : قلنا ألفَ مرة إن وحيدَ والديه لاشأن له بالبوليس الخاص ... !

(محروس يحاول الاعتراض فتسكته لولية بلطف)

ناصح (لمحروس) : فلتكن ياعزيزى بوليساً خاصا للبيت عندنا .. بدل أن تساعد الغريب ساعد أقرب الناس إليك .. إذا حدثت غارة ألفيناك واعتمدنا عليك ...

لولية : لقد أعددتُ حقيبة إسعاف فى القاهرة.. فيها كل مانحتاج إليه .

الشيخ أبو اليسر : إن لولية لها فى كل أمر أثر مشكور .. لوكانت فتاة غيرها قدمَت هذه الضيعة لما عُنيَت إلا بأمرها . ولما شُغِلت إلا بنُزَهها ... أماهى فكانت الخدمةُ الإجتماعية نُصبَ عينيها .. !

لولية : ماخرجتُ يوماً إلى الحقل فصادفتنى فلاحة إلا سألتُها : ماذا تأكلين ؟ وكيف تعيشين؟

وما أزال بها حتى أنوِّرَ ذِهْنها وأبصرَ عقلها بما ينفع ...

محروس : تُقدَّمينَ إليها أثمن النُّصْح ..

لولية : طالما نصحت إلى الفلاحات أن يغسلن أعينهن «بالبوريك» صباحَ كل يوم ، ويحذرن الغوْصَ فى الماء وهن حافيات . ويحرصن على رش دورهنّ «بالفليت» .. كل هذا من أجل الوقاية من الأمراض !

الشيخ أبو اليسر : الحق يا إخوانى أنى أترك هذه الضيعة وضميرى مستريح .. كلٌّ منا نهض بواجبه خير نهوض . سنسافر بعد أن غرسْنا بذرةَ الاصلاح الاجتماعىّ فى هذا الريف ، ووضعنا نموذج القرية المِثاليَّة .. والآن أمامنا واجب آخر هو واجب الدفاع المدنّى عن القاهرة ..

(يدخل حواش افندى دفعة واحدة .. يقول له الشيخ أبو اليسر منزعجا) ...

ماذا حدث ؟ ماذا حدث ؟

حواش افندى : لم يحدث شيء .. أثناء عودتى من الحقل أبصرتُ الضوء فى القصر فقلت لعلكم فى قلق ..

الشيخ أبو اليسر : أى قلق يا حواش افندى ؟

حواش افندى : ليس من عادتكم أن تسهروا حتى هذه الساعة

الشيخ أبو اليسر : كنا نلعب بالورق .. نسلّى أنفسنا .. وماذا صنعتَ بالرز ؟

حواش افندى : فرغنا من سُقْيا حوض أبى علىّ ، وغدا نبدأ سقيا حوض أبى عسّاف ..

الشيخ أبو اليسر : ولماذا لم تبدءوا الليلة فى حوض أبى عساف؟

حواش افندى : لقد تعِب الفلاحون اليوم .. ولم يكن فى طوقهم أن يواصلوا العمل أكثر مما واصلوه!

الشيخ أبو اليسر . كلكم كُسالى .. ماذا كان عليكم لو سَهِرتم إلى الصباح ؟!

حواش افندى : لاتخشَ بأساً .. سيسقَى الرز جميعه فى مواعيده إن شاء الله ..

الشيخ أبو اليسر : لا بد أن يتم هذا .. لا أريد أن تتأخروا .

حواش افندى : كن مطمئنا يامعالى الباشا .. والآن هل تأمر بشئ ؟

الشيخ أبو اليسر : لا غناء عنك .. امض بسلام ..

حواش افندى : تصبحون على خير!

(يحيّ الشيخ أبا اليسر والآخرين ويتهيأ للخروج ..)

الشيخ أبو اليسر (يستوقف حواش افندى) : لاتنس أن توقظنا فى الساعة السابعة .. أفاهم أنت ياسيد حواش .. أريد أن أمرّ بأحواض الرزمعك

حواش افندى : سينال الرز بركة عظيمة بهذا التشريف ..

(يحيي الجمع وينصرف)

الشيخ أبو اليسر (وهو يكتم الضحك) : هل فطنتم إلى النكتة التى قلتها ؟ !

المعلم عويس (يضحك ضحكا مفتعلا فى صوت عال) : نكتة طريفة جداً . رائقة جداً .. أبقاك الله يافضيلة الباشا يامعدن الظرف والكياسة !!

(الآخرون يضحكون مجاراة للمعلم عويس)

الشيخ أبو اليسر : كفى ... كفى ..

الشيخ ضرغام : الآن أحسن شيء نعمله هو أن نطفيء الأنوار ونتصنع النوم حتى لا يضايقنا أحد ...

لوليـــة : حقاً . هذا حسن .. نستريحُ قليلا !

الشيخ أبو اليسر : لا .. لا راحة الآن .. حتمٌ أن نجمع شملنا ونواصل السهر ..

(للمعلم عويس)

أطفيء المصباح يا عويس ..

(المعلم عويس يطفيء المصباح)

(الشيخ أبو اليسر يخرج مصباحاً كهربياً صغيراً من جيبه ويضيئه ..

يتوسط الحجرة ..

يجلس على مقعد . ويقول) :

هيا .. تعالوا هنا حولى ..

(كلٌ يأخذ مقعدا . ويجلس على مقربة من الشيخ أبي اليسر ..

تتألف من الجالسين حلقة منظمة)

هكذا .. سنبقى على هذه الحال حتى يحين موعدُ السيارة ..

حذارِ أن ينام أحد !!

(لولية تتثاءب)

ثم ماذا يا لولية ؟!

لوليـــة : إنى مستيقظة يا أبتِ ..

(الجمع يتثاءب)

الشيخ ضرغام (وقد أتمَّ تثاؤُبَةً طويلة) : ألا تنهوُن من هذا التثاؤب يا إخواننا ؟!

لمعلم عويس : النومُ ممنوع !

محـروس (فى تَرَاخٍ) : نعم ... النومُ ممنوع ...بتاتاً ...!

ناصـــح (فى تراخٍ أيضاً) : أىّ نوم ؟ أأطفال نحن؟!

الشيخ أبو اليسر : افتحوا أعينكم .. لا تستسلموا للغَمْض

المعلم عويس : سأسليكم بحكاية تدعكم أيقاظا إلى أن يأتىَ موعد الرحيل ..

الشيخ أبو اليسر : قلْ يا عويس ..

المعلم عويس : كان ما كان ياسادة يا كرام ، لا يحلو الحديث إلا بذكر النبىْ عليه الصلاة والسلام ..

الجمـــع (معا فى صوت متكاسل) اللهمَّ صلِّ عليه ..

المعلم عويس : كان فى غابر الزمان، وسالف العصر والأوان، سلطان عظيم الشأن . لا نظير له فى الإنس ولا فى الجان . .

الشيخ أبو اليسر (مهمهما . وهو يحاول التغلب على النوم) : كلام حلو يا عويس .. هيه .. قلْ ..

الشيخ ضرغام (فى خمول شديد) : أكمل يا عويس ..

المعلم عويس : كان لهذا السلطان أخ عظيم الهمم ، واسع الكرم . طيب القلب ، محبوبٌ عند العبد والرب .. فلم يلبث أن نال أعظم الجاه ، ولذلك كرهَهُ السلطان ولم يُطِقْ أن يراه. أتسمعون يا جماعة ، ما قلته الساعة ؟

الجميع (وهم بين مُتَمَطِّط ومتثائب) : وكيف لا ؟ نحن سامعون !

المعلم عويس : وذاتَ يوم مرّ قارئٌ بخت ينادى : نكشف عن المراد ، بإذن ربِّ العباد .. سمعه السلطان وهو فى القصر، فقال : ائتونى به على الفور . .

الشيخ ضرغام : (مغمغما فى تكاسل) : نعم أنا سامع لما تحكيه قال السلطان على الفور ، على الفور !

المعلم عويس : وحين أدخلَ قارئُ البخت على السلطان ، قبل الأرضَ بين يديه ، وألقى السلام عليه ، فقال السلطان وهو يحدّق فيه : ماذا تعرف مما يُكنّهُ لى القَدَر ويخفيه. فقال له قارئُ البخت : قبل أن ينطلقَ اللسان ، لابد أن تعطينى الأمان !

لوليـــة (وهى تغالبُ النوم) : نعم لابدَّ من الأمان أولا ...

محروس (وقد وضع رأسه بين يديه . يقول فى صوت خامل) : حقا لابدَّ منه ... أكملْ يا عويس أكمل ... وبعد ...

المعلم عويس : وبعد يا سيدى ولا سيد إلا أنت ، وعَدَه السلطانُ بأحسن الأمان . فقال له قارئُ البخت : يامولاى لك أخٌ يعيش فى قصرك ، وينعم بخيرك . ولكن مَلَكَ الموت الجبار ، يحوم حولكما بسيفه البتّار . وسينتهى به الأمر حتما ، الى أن يأخذ أحدكما ... أحد

الأخوين تحينُ منيته هذه الأيام، والآخرُ يمتد عمرُه أطولَ السنينَ والأعوام. فصرخ السلطان صرخة تدل على خوفه، وقال: من منهما الذى يناله ملكُ الموتِ بسيفه!... فقال له قارئ البخت: اللهُ وحده يعلم هذه الأسرار، ويعرف: أيُّكما أسرع إلى دار القرار ؟! فقال له السلطان: ومتى يأخذ مَلَكُ الموت فريستَه، ويبطِشُ به بطشَتَه؟ فأجابه: بعد شهرين بلا تقديمٍ ولا تأخير، يتمُّ أمرُ اللهِ العلىِّ القدير!! ...

الشيخ أبو اليسر (وقد ثقل عليه النوم متلعثما فى القول): الحق يا معلم عويس أنك خلطت فيما حكيت! أما كان فى جَعبتك إلا ذكر الموت؟

المعلم عويس (متثائباً. متمطيا): وماذا فى ذكر الموت؟ إنه المصير المحتومُ لكلِّ حىّ!

الشيخ ضرغام (قد ثقل من النوم لسانه): أكمل قصتك أو فاصمتْ؟ والصمتُ بك أولى!

المعلم عويس (متمما قصته) : سمع السلطان ما سمع ، فكتم عن أخيه ما سيقع .. وأمر بأن يُحفر سرداب عميق ، مجهول الطريق ، ليعيش فيه السلطان هارباً من الموت النازل ، مختبئاً من القضاء العاجل . وإنَّ ذلك لبعيدٌ عنه غاية البعد . وهل ينجو من الموت أحد ، ولو كان فى آفاق السماء ، أو أعماق الماء .. ؟!

الشيخ ضرغام (وهو يتثاءب . ويميل على الشيخ أبى اليسر) : يبدو أن الرجل يَهذى !

الشيخ أبو اليسر (وهو على وشك الاستغراق فى النوم) : لا بأس .. دعه يخلط !

(للمعلم عويس)

أكمل يا معلم مغفَّل ..

المعلم عويس (وهو على وشك النوم) : حِلمكم يا جماعة ، إنها قصة طريفة بديعة ، قصة الموت والحياة ، قصة ابن آدم الأبله الذى يحسَب نفسه أقوى من الموت .. وهل يقوى على الموت شىء ..

لو حبس ابن آدم نفسه فى قمقم من نحاس ، وألقى بنفسه تحت البحور السبعة ، لاهتدت إليه منيته حين ينقضى الأجل . . وهـــذا ما حدث لصاحبنا السلطان !

الشيخ ضرغام (وهو شبه نائم) : ماذا حدث ؟

المعلم عويس (وهو يغالب النوم) : لم يحدث شىء مهم يا مولانا ... ملك الموت لم يصعب عليه الوصول الى السلطان فى السرداب ، فقبض روحه وصعد بها الى رب الأرباب . . . أما أخوه الذى لم يكن على علم بشىء من هذه الأوهام ، فكان متكلا على الحى الذى لا يغفل ولا ينام ... فعاش فى ثبات ونبات ، وخلف البنين والبنات !

(يهبط رأسه على صدره ... يصمت .

الجمع يستغرقون فى النوم ...

بعد لحظة لا تسمع الا أنفاس تتردد . . .

مصحوبة بشخير . . . المصباح الكهربى

الصغير ينطفىء ...

الظلام شامل ...

الوقتُ يمرُّ دونَ حركة ...

نورُ الفجر يلوح قليلاً قليلا ...

الشيخ ضرغام يفتحُ عينيه بعد أن يتحركَ فى مجلسه ... يحملقُ حوله فى ذهول ...)

الشيخ ضرغام الله ! .. الله ! .. لقد طلع الفجر .. ما هذا يا جماعة ؟! .. أنائمون أنتم ؟ ! ..

المعلم عويس (مغمغما) : نائمون ؟ كيف ذلك يامولانا ؟ !

الشيخ ضرغام (صائحا) : استيقظوا .. استيقظوا يا جماعة .. السيارة ... الحصار على الضيعة ..

الشيخ أبو اليسر (ينتبه فزعا . يصيح وهو يتلفت يمنة يسرة): السيارة ! .. الحصار على الضيعة ! ..

يقفز فى الحجرة ويعلو صياحه) :

السيارة ! .. الحصار على الضيعة ! ..

(يهزّ النـــائمين وهو يردد) : السيارة ! ..
الحصار على الضيعة !
(ضجة وتصايح ..
تهبط الستارة رويدا ..)

الختـــــام

مكتبة النشر للجامعيين

تقدم

المسرحية التى نالت الجائزة الممتازة
فى مباراة التأليف المسرحى للفرقة القومية

اخوان ونفرتيتى

للأستاذ

على احمد باكثير

قريباً
الطبعة الثانية

أبو ذر الغفارى
تأليف عبد الحميد جودة السحار

892.7 T24kA:c.1
تيمور، محمود
قنابل: مسلاة مصرية في ثلاثة فصول
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01040090

American University of Beirut

892.78
T24kA

General Library